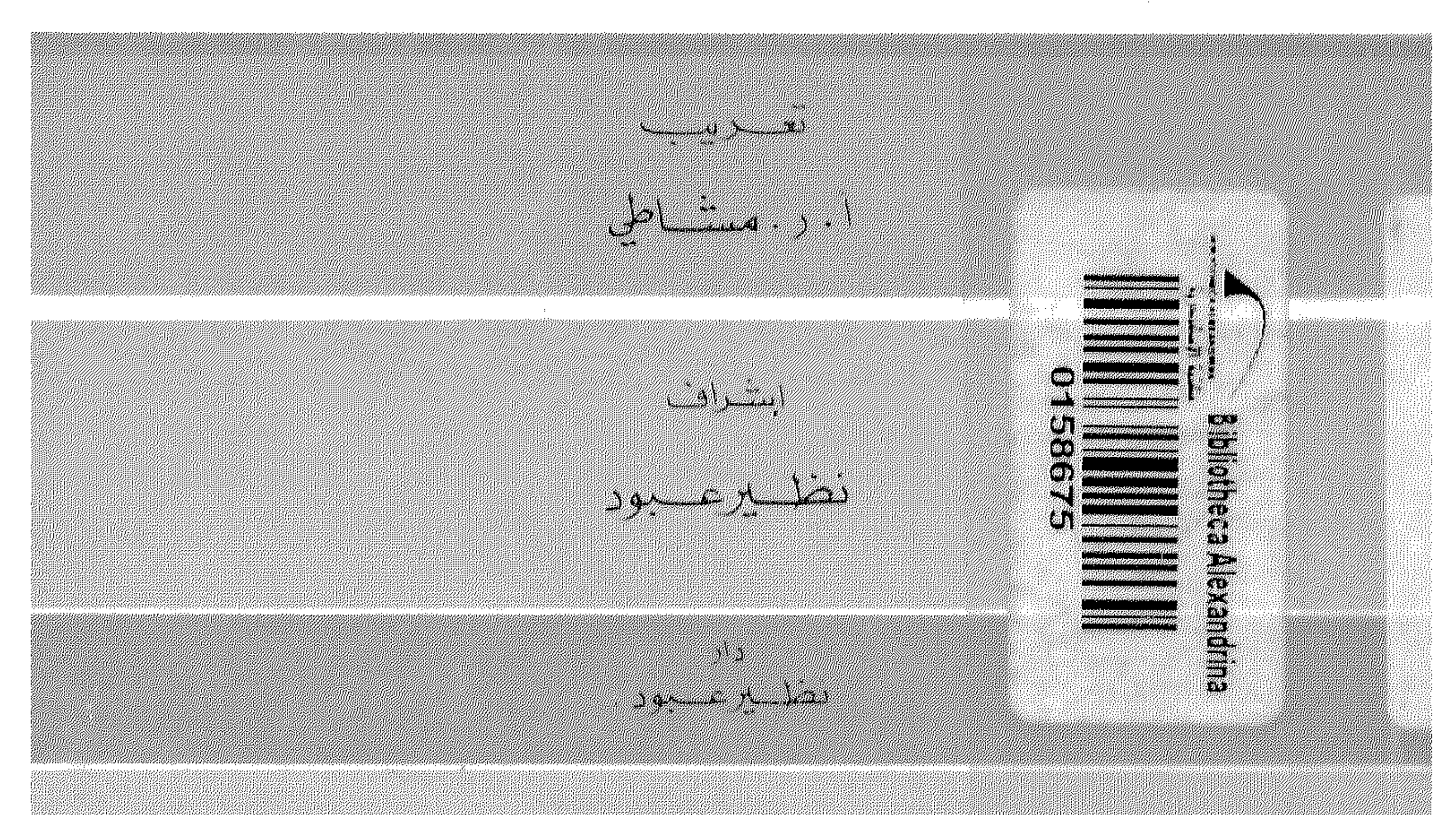
وليم شكسبير

سمبلين



تعريب

ا. ر. مشاطي

إشراف

نظير عبود

دار
نظير عبود

اشخاص المسرحية

سمبلين : ملك بريطانيا
كلوتين : ابن الملكة من زواج سابق
بستيموس : زوج ايموجان
بيلاريوس : نبيل مبعد ، متنكر باسم مورغن
غيداريوس ، ارفيراكوس : ابنا سمبلين ، محسوبان كابني بيلاريوس الاول معروف بالاسم المستعار بوليدور ، والثاني كَدوال
فيلاريو : روماني صديق بستيموس
ياشيمو : روماني صديق فيلاريو
وجيه فرنسي
وجيه هولاندي
لوسيوس : قائد في الجيش الروماني
ضابط روماني

ضابطان بريطانيان

بيزانيو : خادم بستيموس

كرنيليوس : طبيب

وجيهان من بلاط سمبلين

سجّانان

الملكة : زوجة سمبلين الثانية

ايسوجان : ابنة سمبلين من زوجته الاولى

هيلينا : مرافقة ايموجان

اشخاص في رؤيا عابرة

سادة وسيدات وشيوخ رومانيون وقضاة

وجنود ورسل وعدد من الخدم .

تجري الاحداث تارة في بريطانيا ، وطورا في ايطاليا

الفصل الاول

المشهد الاول

في قصر ملوك بريطانيا

(يدخل وجيهان)

الوجيه الاول: ليس هنا من احد لا يعبس ، لان مزاجنا لا تتحفه السماء بأحسن من توجيهات الملك لأفكار رجال البلاط •

الوجيه الثاني: لكن ، ما الخبر ؟

الوجيه الاول: كان الملك ينوي ان يزف ابنته ووريثته في الحكم الى وحيد زوجته الارملة التي اقترن بها مؤخرا • لكن هذه الفتاة وهبت ذاتها لوجيه فقير انما جليل • فهي متزوجة وشريك حياتها مبعد ، وهي نفسها سجينة ، ووضعيتها

تستدعي الشفقة والاسف • اما الملك فأظنه في حالة يرثى
لها من الحزن والكمد •

الوجيه الثاني: هل الملك وحده في هذا المأزق ؟

الوجيه الاول: ان الشاب الذي خسرها هو ايضا في مثل حالها ، وكذلك
الملكة التي كانت تتمنى اكثر من سواها تحقيق هـذا
الزفاف • ولكن لا احد من الحاشية ، مع ان الجميع
يتظاهرون باستحسان ما يميل اليه الملك ، تراه مرتاحا الى
هذه المشكلة التي أزعجت الكل •

الوجيه الثاني: ولماذا ؟

الوجيه الاول: لان الذي نجت الاميرة من براثن سيطرته رجل لئيم الطبع
ومن أحط الناس • بينما من ظفر بها وتزوجها هو رجل
شهم شجاع ، انما يا للأسف مبعد بسبب بسالته • انه
انسان عالي الاخلاق قلّ ان يوجد له مثيل ، ومتفوق على
جميع أقرانه • وهو علاوة على ذلك وسيم الطلعة •

الوجيه الثاني: انت ترفعه عاليا جدا •

الوجيه الاول: اني أبيّن ما يتحلّى به من فضائل يا سيدي ، وأقول في
مدحه أقل مما يستحق •

الوجيه الثاني: ما اسمه ، وأين هو ؟

الوجيه الاول: انا لا أعرف بالضبط تاريخ أسرته • فوالده يدعى
سيسيليوس ، وقد انضم بشرف الى كاسيبالان في
محاربته الرومان ، وحصل على تقدير تننسيوس الذي

خدمه باخلاص ونجاح مرموق ، فمنحه لقب ليوناتوس .
قبل الوجيه المذكور ، أنجب سيسيليوس ابنين آخرين
ماتا في حروب ذلك الزمان والسيف في يديهما . ولقد
أثرت هذه الفاجعة على ابيهما ، ففارق الحياة كمدا . اما
ارملته النبيلة ، فكانت حبلى ، وماتت على اثر ولادة ابنه
الذي شمله الملك برعايته وسمّاه بستيموس، وربّاه ورعاه
واعتبره كأحد أفراد اسرته ووفر له الثقافة التي سمح له
عمره باقتبالها . وكان بستيموس يعبّ من العلم أينما
لقيه كما يتنشق الهواء . وعندما شب اظهر مقدرة فائقة .
فعاش في البلاط مشكورا محبوبا مع ان هذا من النادر
حصوله في اوساط الحكام . وكان بستيموس نموذجا
صالحا للشبان ، ومرآة للرجال الناضجين يصلحون
سلوكهم بما تعكسه عليهم من صور المروءة والبسالة ؛
وللأجلاّء من كهول الحاشية ولدا مدللا يعاملهم جميعا
بحنكة ومجاملة . اما حبيبته التي يجد نفسه اليوم مبعدا
بسببها ، فلا تنفكّ عن الاشادة بفضائله ومآثره الحميدة
وعن اعلان اعجابها برجولته والتعلق بشخصه الكريم ، حتى
ادرك الجميع وقوع اختيارها الصريح عليه هو رجل الثقة
والشهامة .

الوجيه الثاني: انا احترمه وأقدره لا لشيء الا لما ترويه لي عنه . لكن
ارجوك ان تخبرني ، أوليس للملك من ولد سوى هذه

الاميرة ؟

الوجيه الاول: لم يرزق غيرها • مع ذلك اذا كان الامر يهمك ، فاعلم بأن الملك كان له ابنان اختطفا وهما في حداثة سنهما : الاول كان في الثالثة من عمره ، والثاني وهو لا يزال رضيعا • والى الان لم يتوصل احد الى الظن سوءا بأي مخلوق لاتهامه بهذه الجريرة ، ولا الى معرفة ما حل بهما •

الوجيه الثاني: وكم من الوقت مضى على هذا الحادث ؟

الوجيه الاول: نحو عشرين عاما •

الوجيه الثاني: وهل من الممكن اختطاف ابنَي ملك على هذه الصورة ، الا بسبب اهمال حراستهما دون ان يسفر البحث البطيء عن الاهتداء الى اي اثر لهما ؟

الوجيه الاول: مهما بدا لك ذلك غريبا ، ومهما كان حكمك على هـذا الاهمال السخيف قاسيا ، فان ما رويته لك هو عين الحقيقة يا سيدي •

الوجيه الثاني: اني أصدّقك •

الوجيه الاول: علينا الان ان نلوذ بالصمت • فها هو مولانا قادم بصحبة الملكة والاميرة •

(يخرجان وتطل الملكة وبستيموس وايموجان)

الملكة : لا يا بنيّتي ، كوني على يقين بأنك لن تجدي في شخصي العداوة التي يلصقها الناس بزوجة الاب ، ولن أخصك الا بالسهر والعطف عليك • فأنا مكلّفة برعايتك ولن اكون

لك الا حارسة تستأثر بالمفتاح الذي يقفل باب قلبك. وأنت
يا بستيموس ، كن واثقا بأني سأهدىء روع الملك المستاء
منك ، وسأتولى الدفاع باخلاص عن قضيتك حتى أقنعه
بقبولك صهرا له ، بالرغم من اني لا إزال ارى شرر الغيظ
في عينيه . يجمل بك ان تنحني قليلا امام مشيئته بكل ما
لديك من صبر تمليه عليك حكمتك المعهودة .

بستيموس : ان أذنت لي يا صاحبة السمو ، سأرحل في هذا اليوم .

الملكة : انت تعرف ما يحيق بك من أخطار . فأنا خارجة الى الحديقة
لاني اشفق على عاشقين تربطهما المودة وتفصلهما مرارة
القلق ، وأنتما لا تجهلان ان الملك آمر بأن لا تبقيا معا
مجتمعين .

(تخرج الملكة)

ايموجان : قبحا لهذه اللياقة المنافقة ، وتبا للنعومة التي تختبىء وراءها
هذه الشرسة المرائية التي تتظاهر بالعطف والحنو ! ان
غضب والدي يضايقني يا زوجي الحبيب ، لكن الاحترام
الذي أكنه له يخفف ما يسببه لي من الكدر . لا بد لك
من ان ترحل ، وأن أظل وحدي أجابه نظرات والدي
الغاضب ، لا يساندني في مقاومتي سوى ثقتي بأن في
الدنيا جوهرة عزيزة على قلبي لا يتسنى لي ان القاها
ثانية .

بستيموس : يا مالكة فؤادي ، يا حبيبتي ، لا تبكي لئلا يظن من يراك

انك تكنّين لي حنانا اكثر مما أستحق • سأظل أوفى
الازواج وأخلصهم للعهد • سيكون مقري في روما عند
احد اصدقاء والدي يدعى فيلاريو ، لا أعرفه الا بالمراسلة•
فلا تؤخري عليّ تحاريرك يا ملاكي ، وسأرتشف بعينيّ
كل كلمة تكتبينها لي كأنها قطرة ندى ، حتى ان كان
الحبر علقما او سمًّا زعافا •

(تعود الملكة)

الملكة : تكلم باختصار • فان باغتنا الملك لست أدري الى أي مدى
يصل انزعاجه من حضورك (على حدة) • ما همّ ذلك •
سأبعد خطاه عن هنا لاني لا أريد ان أسبب له أي حزن
سأدفع ثمنه كأنه ضريبة على حماقاتي التي تكلفني باهظا•

بستيموس : عندما سأوافيك لاستئذانك بالرحيل ثقي بأن غيابي وإن
طال أمده ما تبقّى لنا من العمر ، سيزيد ألم فراقنا مرارة•
فالوداع •

ايموجان : لا ، ابقَ بعض الوقت • فهذا الفراق سيكون قصيرا كأنك
ذاهب في نزهة وجيزة على صهوة جوادك •

(تنتزع خاتما من اصبعها)

خذ يا حبيبي هذا الخاتم الذي تزينه ماسة ثمينة قد
اهدتني اياها والدتي ، واحفظه يا حياتي الى حين زواجك
من امرأة اخرى بعد وفاتي انا ايموجان •

بستيموس : ماذا تقولين ؟ أأتزوج انا امرأة غيرك ؟ يا الهي اشملني برأفتك ولا تحرمني مالكة فؤادي بل احمني من معانقة اية امرأة اخرى الى أن تحضر منيتي • (يضع الخاتم في اصبعه) • ابقَ انت في اصبعي طالما حفظك شعوري بالواجب في حوزتي • وأنتِ يا احلى الحلوات ألا يكفيك ما ينوبك من خسارة باصرارك على عدم استبدالي بمحب آخر ، وفي ارتباطك بي انا الرابح الاكبر • ضعي انتِ ايضا هذا في معصمك عربونا لمودتنا الحميمة لانه قيد الحب الذي أود ان اظل اسيره • (يضع اسوارا في معصمها) •

ايموجان : يا الهي متى سنلتقي ثانية ؟

(يصل سمبلين فجأة برفقة بعض الوجهاء)

بستيموس : ها هو ذا الملك ، يا للاسف •

سمبلين (لبستيموس) : اليك عني ايها الحقير • أغرب عن وجهي • واذا لوثت بعدما اصدرته من امر ، بلاطي بحضورك غير المرغوب فيه ، فموتا تسوت • أهرب لان وجودك بقربي يسمم كياني •

بستيموس : حرستك الآلهة ، وباركك اهل الخير الذين يعيشون في بلاطك • انا ذاهب (يخرج) •

ايموجان : طعم الموت ليس أمرّ من هذا الكلام الجارح •

سمبلين : تباً لك من امرأة قاسية القلب ! فانك بدلا من ان تجددي

شبابي ، تثقلين كاهلي بمئات الاعوام وتزيدين همومي •

ايموجان : ارجوك يا مولاي ان تطرد عنك هذا الغيظ • فأنا لا اريد اغضابك بل اشعر بعاطفة نحوك اقوى بكثير ، تزيل عني كل حزن وكل خوف •

سمبلين : وتزيل عنك ايضا كل نعمة وكل رعاية •

ايموجان : لم اعد أبالي بالنعم لاني فقدت كل امل بالحياة السعيدة •

سمبلين : انت التي يتسنى لك ان تقترني بابن الملكة ؟

ايموجان : بل انا مسرورة جدا بعدم قبولي به لاني اخترت النسر المحلق وتحاشيت الصقر الجارح •

سمبلين : لقد فضلت متسولا ، وشئتِ ان تجعلي من عرشي ملاذ لئيم خسيس •

ايموجان : كلا ، قل بالاحرى اني اضفت اليه درة نادرة •

سمبلين : ما احقر دناءتك !

ايموجان : يا مولاي انا لا ذنب لي ان احببت بستيموس الذي لم يقع عليه اختياري الا لانك جعلت منه رفيق صباي ، وهو رجل يستحق أنبل النساء ويفوقني فضيلة • فالكسب لي بحصولي عليه •

سمبلين : ماذا تقولين ؟ هل جننتِ ؟

ايموجان : على ما يبدو يا مولاي ، واني اسأل السماء ان تشفيني • فأنا لست سوى ابنة راع ، وحبيبي بستيموس هو ابن جارنا الراعي نظيره •

سمبلين : ما اغباكِ ! (للملكة) قولي لي كيف اجتمعـــا ؟ انت لا تتصرفين حسب اوامري . خذوها واسجنوها .

الملكة : صبرك عليّ . (لايموجان) هدّئي روعك يا ابنتي ، هدئي روعك . (لسمبلين) يا مليكي الكريم ارجوك ان تدعنـا معا ، وحاول ان تجد لنفسك بعض العزاء في التفكير بأمور أهم من هذه .

سمبلين : آه ! ليتها تصاب بنزف دم كل يوم حتى تشيخ وتمـوت بسبب جنونها .

(يخرج مع الوجهاء ويدخل بيزانيو)

الملكة : قبحاً لك . (لايموجان) عليك ان تتخذي قرارك النهائي . هاهوذا خادمك . (لبيزانيو) ما وراءك من الاخبار ، يا سيـد ؟

بيزانيو : يا مولاتي ، لقد استلّ ابنك سيفه في وجه سيدي .

الملكة : املي ان لا يكون قد لحق بأحد مكروه .

بيزانيو : كان ممكنا ان ينقضي الامر كذلك ، لو لم يعتبر سيدي هذا اللقاء لعباً بدل الاقتتال ، اذ كان بعيـدا عن الغضب ، فتمكن الحاضرون من التفريق بينهما .

الملكة : انا في غاية الامتنان .

ايموجان : ان إبنك بطل في نظر والدي ، وبتولّيه الدفاع دوما عـن حقوقه لا يتردد في اشهار سيفه . يا له من شهم شجاع ! كم أود ان اراهما وجها لوجه في افريقيا ، وأن اكـون

بقربهما ، وفي يدي مسلة لوخذ المتقهقر منهما • (لبيزانيو)
لماذا غادرت سيدك ؟

بيزانيو : نزولا عند امره • فانه لم يسمح لي بمرافقته الى المرفأ • وقد زوّدني بتعليماته التي ارى من واجبي تنفيذها حالما يسرّكِ ان تستعيني بي •

الملكة : لا شك في ان هذا الرجل كان ولا يزال خادما امينا لك • واني أراهن على سعادتي بأنه لن يتبدل حيالك •

بيزانيو : بكل تواضع أشكر سموّك •

الملكة (لايموجان) : ارجوكِ ان تسيري معي بضع خطوات •

ايموجان (لبيزانيو) : اسألك ان تعود بعد نصف ساعة لأتحدث اليك • اذ لا بد من ذهابك الآن الى سيدك لتراه وهو يصعد الى السفينة • وحتى ذلك الحين ، اتركاني وحدي • (يخرجان)

المشهد الثاني

في شارع عريض بضواحي القصر

(يدخل كلوتن وبصحبته وجيهان)

الوجيه الاول: مولاي ، انصحك بأن تغير قميصك لان عنف تصرّفك جعلك تلهث كأنك المغلوب • فالهواء الذي تنفثه ينبىء

بانفعالك ، وليس من انفاس في الجو انقى من التي تخرج
من صدرك •

كلوتن : اذا كان قميصي ملطخا بالدم أستبدله حالا • فهل جرحته ؟

الوجيه الثاني (على حدة) : لا لعمري ، لم تخدش حتى طرف اصبعه •

الوجيه الاول: مجروح ؟ هل تظن ان جسمه قوقعة تخترقها المياه ؟ تسأل ان كان مجروحا ؟ ألا اعلم ان جلده كالدرع وانه لم يُصب بأي اذى •

الوجيه الثاني (على حدة) : انه يتجاهل ان جلده مرهق بالديون وأنه يهرب من دائنيه الى أقاصي المعمورة •

كلوتن : لم يشأ الشقي ان ينتظرني •

الوجيه الثاني (على حدة) : كلا ، هو هارب على الدوام من وجهك •

الوجيه الاول: انه يتجنبك • ومع ان ميدانك فسيح جدا فقد وسّعه بتنازله لك عن الكثير من مجاله •

الوجيه الثاني: ليس اوسع من مدى اصابع يده ، بينما لديك مساحات المحيط بأسره • تباً له من محتال !

كلوتن : كم وددت ان لا يفرّق احد بيني وبينه •

الوجيه الثاني (على حدة) : وأنا ايضا قبل ان يجندلك ويجعلك تقيس وأنت على التراب طول قامتك وحماقتك •

كلوتن : لا تنسَ انها تحب هذا الغبي وترفضني •

الوجيه الثاني (على حدة) : ان كان حسن الاختيار ذنبا ، فهي حتما هالكة •

الوجيه الاول: مولاي ، كم وكم قلت لك ان جمالها وعقلها لا ينسجمان، فهي واجهة رائعة ، لكنني على يقين بأن دماغها جامد التفكير .

الوجيه الثاني (على حدة) : هي لا تلمع حيال المغفلين خشية ان تضايقها قلة ادراكهم .

كلوتن : هيا ، انا عائد الى غرفتي ، وأتمنى ان يكون قد اصابه مكروه .

الوجيه الثاني (على حدة) : انا لا أتمنى ذلك الا اذا كان قد سقط كالحمار ، الامر الذي لا يسبب لاحد ضررا بالغا .

كلوتن : ألا تأتي معنا ؟

الوجيه الاول: يسرني ان أرافق سيادتك .

كلوتن : هيا بنا اذاً نذهب سوية .

الوجيه الثاني: حبا وكرامة ، يا مولاي .

(يخرجون)

المشهد الثالث

في احدى غرف القصر

(تدخل ايموجان ومعها بيزانيو)

ايموجان : أود ان تمضي الى المرفأ وتسأل عن سيدك في جميع السفن .

ان كتب بي ، ولم تصلني رسالته ، سأكون كالمحكوم عليه الذي اضاع كتاب العفو عنه • ما هي آخر كلمـــات قالها لك ؟

بيزانيو : مليكتي ، مليكتي !

ايموجان : وهو يلوّح بمنديله ؟

بيزانيو : ويرسل اليك القبل ايضا ، يا سيدتي •

ايموجان : تباً له من قليل الاحساس ! ارى المنديل افضل مني ! وهل هذا كل ما فعله ؟

بيزانيو : كلا ، يا سيدتي • لقد بقي على ظهر السفينة بقدر ما يسمح البعد لعيني ان تراه ، ولأذني ان تسمعه • وكان في يده قفاز وقبعة ومنديل يلوّح به باستمرار ، كأنه يعبر عن مشاعره في كل خلجة وكل خفقة من فؤاده المشتاق • ما ابطأه في تقبّله هذا الفراق ، وما أعجل السفينة فـــي اقلاعها •

ايموجان : كان عليك ان لا تغادره ، ما دامت عيونك تبصره مهما بعد طيفه وقلّ حجمه وأصبح اصغر من العصفور •

بيزانيو : هذا ما فعلته يا سيدتي •

ايموجان : لو كنت مكانك لحدّقت فيه وأرهقت عينيَّ لكي أظـــل ابصره ، حتى تغيبه المسافة الشاسعة التي تفصله عني ، وحتى يبدو لي ارفع من ابرة الخياطة • أجل كنت تبعته

بأنظاري حتى يغدو أصغر من بعوضة ويختفي في المدى البعيد ، حينئذ أدير ظهري وأبكي • لكن يا بيزانيو الطيب القلب ، متى ستردني اخباره ؟

بيزانيو : كوني على ثقة يا سيدتي بأنها ستصلك في اقرب فرصة •

ايموجان : عندما غادرته كانت لديّ أمور كثيرة أحدثه عنها • وقبل ان يتسنى لي ان أبيّن له كيف سأفكر فيه في بعض الساعات، وما عسى ان تكون خواطري هذه ، قبل ان يتسنى لي ان أحلف بأن نساء ايطاليا لن يعتبروه كخائن عهدي وملوّث شرفه قبل ان أوصيه بأن يتصل بي مبتهلا الى الله في الساعة السادسة باكرا وظهرا وعند منتصف الليل ، اذ اكون وقتئذ متضرّعة الى السماء لاجله ، وقبل ان امنحه قبلة الوداع بين كلمتين مداعبتين ، حضر والدي نظير هبوب إعصار الشمال ، فذوت جميع آمالنا المنتعشة كما تذبل الازهار النضرة ، وهي لا تزال براعم • (تدخل سيدة) •

السيدة : الملكة يا سيدتي ، تسأل سموّك ان تذهبي اليها •

ايموجان : عجّل يا بيزانيو في تنفيذ ما اوصيتك به ، وسأوافي الملكة حـالا •

بيزانيو : امرك مطاع ، يا سيدتي •

(يخرجان)

المشهد الرابع

روما ـ في قاعة المائدة في منزل فيلاريو

(يدخل فيلاريو وياشيمو والفرنسي والهولندي والاسباني)

ياشيمو : صدّقني يا سيدي ، لقد رأيته في بريطانيا وكانت سمعته حينذاك آخذة في السمو ، وكانت تصرفاته تبشر بتجلي القيم التي يعترف له بها الجميع . وكنت انظر اليه بدون أي اعجاب حتى عندما جرى تعداد صفاته علـى رؤوس الاشهاد اثناء حضوره ، وكان باستطاعتي ان أتبينها بندا بنـدا .

فيلاريو : انت تتكلم عن زمن لم يكن فيه ، كما هو اليوم ، يتمتع بكامل شخصيته الظاهرة والباطنة .

الفرنسي : انا رأيته في فرنسا ، وكان بيننا كالشمس الساطعة ينظـر اليه الكثيرون بعين الجرأة ، كما ينظر هو اليهم .

ياشيمو : ان مغامرة اقترانه بابنة الملك زادت ثقته بنفسه لان صفات امرأته ضاعفت مزاياه الذاتية ، لكنها أوحت ، بدون شك، بفكرة خاطئة جدا الى جلالة الملك .

الفرنسي : فتمّ ابعاده .

ياشيمو : انما هناك مودّة الذين يعطفون على ايموجان ويأسفـون

اهذا النفي الجائر المخذي ، الذي يساهم بشكل نادر في ترسيخ مكانة بستيموس لديها • اذ لا سبيل الى دعم هذا الاختيار الا بالثناء عليه وإن يكن من غير السهل التراجع عنه ، وهذا بالذات ما جعل الاميرة تتشبث برجل لا يملك ثروة ولا لقبا • لكن كيف يجرؤ على المجيء للسكوت معك ؟ وكيف توطدت العلاقات بينكما ؟

فيلاريو : كان والده رفيقي في حمل السلاح • وأنا مدين له بحياتي مرارا عديدة • (يدخل بستيموس) هذا هو صاحبي البريطاني ، فأرجوك ان تستقبله بالحفاوة التي يليق بوجيه من مستواك الثقافي ان تحيط بها غريبا يتمتع بمثل مكانته • أتوسل اليك ان تزيد معرفتك بهذا المولى الذي أوصيك به كأحد اصدقائي النبلاء • وأملي وطيد بأن يكشف لك المستقبل عن عظم شأنه فذلك افضل بكثير في نظري مما أبيّنه لك عنه اثناء حضوره •

الفرنسي (لبستيموس) : لقد عرفته في مدينة اورليان ، يا سيدي •

بستيموس : ومنذ ذلك الحين ، بقيت مدينا لك بجميل سأرده أضعافا بدون ان استطيع تسديده لك بكامله •

الفرنسي : انت تبالغ جدا في تقدير صنيعي يا سيدي • لقد كنت سعيدا عندما صالحتك مع مواطنك • اذ كان حقا من المؤسف جدا ان تتلاقيا وأنتما تضمران ، كل منكما لرفيقه، هذه النيات المشبوهة لاجل مسألة تافهة لا تستحق

العداوة •

بستيموس : العفو يا سيدي ، كنت في تلك الايام مسافرا شابا قليـــل الخبرة وكنت أفضل ان أتصرف بغرور على هواي مخالفا ما يرتئيه غيري ، وآبى ان أنقاد في اعمالي الى توجيهات من هو أدرى مني • انما الان وقد نضج تفكيري واكتمـــل رشدي وأدركت كنه الامور فبدون الغمز من قناة احد أصرح بأن مشاجرتي لم تكن ابدا غير مفيدة •

الفرنسي : لعمري ، لقد كانت المسألة حقا تافهة ، لا تستحق الاحتكام الى السيف لاسيما بين رجلين كان احدهما لا محالة قضى على رفيقه قضاء مبرما ، او هلك كلاهما معا •

ياشيمو : هل لي ان اسألك بدون تطفل ، ما هو موضوع الخلاف ؟

الفرنسي : أعتقد ان لا مانع من ذلك • وبما ان المشادة علنية لا يجوز لاحد ان يستاء من سرد تفاصيلها • كانت المناقشة تدور مساء الامس على وتيرة مألوفة ، عندما اخذ كل واحـــد يشيد بحسناوات بلاده • في تلك الاثناء راح هذا الفارس يؤكد ، وكان مزمعا ان يدعم تأكيداته حتى باللجوء الـــى سفك الدم ، ان صديقته أجملهن وأفضلهن وأعقلهـــــن وأطهرهن ولا غبار عليها ولا سبيل الى اغرائها لانهــــا محصنة اكثر من جميع نسائنا في فرنسا •

ياشيمو : بدون شك ، هذه السيدة ليست من عداد الاحياء فـــي عصرنا الحاضر • او ان رأي هذا الوجيه مغاير لما هـــو

شائع في هذه الايام •

بستيموس : هي لا تزال محافظة على عفتها ، كما لا ازال انا محافظا على شعوري •

ياشيمو : لا يسعك ان تضعها في مرتبة تفوق مصاف نساء ايطاليا •

بستيموس : عندما يتحداني احد هنا كما في فرنسا ، لن ابدل حرفا واحدا من رأيي فيها وان اتهمت بأني حبيبها لا صديقها •

ياشيمو : قارنوا احدى نسائكم بنسائنا العاقلات التجيلات ، فتروا ان هذا رائع بالنسبة الى البريطانية • واذا كانت حبيبتك تفوق حقا كل من عرفت من النساء نظير هذه الماسة التي تكسف كل ما شاهدته من ماس في حياتي ؛ (يبرز بستيموس الخاتم الذي يضعه في اصبعه) سأضطر اذ ذاك الى القبول بتفوقها على عدد كبير من السيدات • فأنا لم اشاهد أندر ماسة في الكون ، وأنت لم تقع عينك على أنبل امرأة في الدنيا •

بستيموس : لقد جاء ثناؤك عليها حسب تقديري اياها وموازيا اطراءك هذه الماسة •

ياشيمو : بكم تقدر قيمة هذا الحجر الكريم ؟

بستيموس : اكثر من كل كنوز هذا العالم مجتمعة •

ياشيمو : في هذه الحالة ، إما ان تعتبرها فريدة عصرها ، وقد ماتت، وإما ان تقديرك هو حتما اكثر مما تستحقه امرأة عادية سلبت لبك •

بستيموس : انت واهم • فلكل شيء ثمن • واذا كان لديك ثروة ، وكنت مغاليا دفعت لي قيمة هذا الخاتم مهما غلا ، او كنت صادقا فتحصل عليه كهبة • أما تلك التي حدثتك عنها فليست سلعة للبيع والشراء بل هي فقط هدية سماوية •

ياشيمو : وهل منحتك اياها الآلهة ؟

بستيموس : وبرعايتهم سأحتفظ بها على الدوام •

ياشيمو : يمكنك التبجح بأنها تخصك • ولكن كما تعلم ليس مستبعدا ان تحط الطيور الغريبة على حوض الجيران تماما كما ان سرقة خاتمك ليست بمستحيلة • ثم ان بين درّتين لا تقدّران بثمن تكون الاولى هزيلة والثانية سريعة العطب ، فيأتي اللص الماهر او رجل البلاط الداهية ويحاول امتلاك الواحدة او الاخرى ، وربما كلا الاثنتين معا •

بستيموس : ان بلادك ايطاليا لا تحوي رجل بلاط محنكا قادرا على الظفر بشرف حسنائي فاذا وصفتها بالهزيلة من جراء هذه المخاطرة ، فاني أشك بأن لديك استعدادا لسلبها ، ولذا تراني لا اخشى على خاتمي من الاختلاس •

فيلاريو : دعكم من هذا يا سادة •

بستيموس : انا مسرور يا مولاي بهذا الفارس الشهم الذي اشكره لانه لا يعدّني غريبا • وها نحن بتنا اصدقاء منذ اول كلمات تبادلناها •

ياشيمو . : بمحادثة أطول من هذه خمسة أضعاف ، سأتولى اكتساب قلب السيدة الجميلة وأجعلها تسايرني حتى الاستسلام الي" اذا تسنى لي ان انال حظوة في عينيها وأغازلها •

بستيموس : كلا هذا مستحيل •

ياشيمو : اني اجرؤ على المراهنة بنصف ثروتي لقاء خاتمك الذي لا يوازيها بتاتا على ما أعتقد ، تشجعني على ذلك سمعتها اكثر من ثقتك بها هذه الثقة العمياء • وأنا مصمم على الرهان، ولكي لا تبخسني جدارتي ، أعرض عليك ان أحاول القيام بتجربة على اية امرأة في الدنيا •

بستيموس : اراك تبالغ كثيرا في اقتناعك هذا المهووس • وأنا أشك بوصولك مهما أوتيت من مكر ودهاء الى النتيجة التي تتوخاها •

ياشيمو : اية نتيجة ؟

بستيموس : سيكون نصيبك الفشل حتما • ثم ان هذه المحاولة كما تدعوها تستحق امرا أخطر ، ألا وهو العقاب الصارم •

فيلاريو : كفى يا سادة • لقد جاءت هذه المناقشة عرضا ، فلتنته كما بدأت • أستحلفك ان تتعرف بصديقتي معرفة اوفى •

ياشيمو : انا مستعد لان ارهن املاكي وأملاك اهلي لضمان ما اسلفت •

بستيموس : اية امرأة تختار لاجل هذه التجربة ؟

ياشيمو : امرأتك التي تثق بطهارتها وتصر على اثبات أمانتها • دلني

على البلاط الذي تعيش فيه ، وأنا أراهـن بعشرة آلاف دينار مقابل خاتمك بأني بدون اية امتيازات ، غير فرصة محادثتها بعض الوقت ، سأسلبها هذا الشرف الـذي تتصور انت انه في حصن حصين •

بستيموس : انا أراهن على كل ما يخصني من ممتلكات لقاء ما تملك انت من الذهب ، لاني احرص على خاتمي حرصي على اصبعي الذي اصبح خاتمي جزءا منه •

ياشيمو : انت عاشق اعمى ، وهذا ما يوحي اليك بالثقـة • وان تسنى لك شراء جسد امرأة طاهرة ، فلن تستطيع المحافظة عليها من الفساد • انا ارى ذالك بوضوح ، فهل لديك ما يقلق بالك في هذا المجال ؟

بستيموس : هذه الثرثرة اصبحت مألوفة على شفتيك لكثرة تكرارها• في الواقع آمل ان تفكر جديا في المسألة •

ياشيمو : انا سيد امري وأقوالي ، وأقسم لك بأني مستعد لتنفيذ ما تعهدت به •

بستيموس : هل تعتقد بذلك فعلا ؟ اذاً انا موافق على المراهنة بهـذه الماسة الى حين عودتك • فلنختم حديثنا عند هذا الحد • ان فضيلة حبيبتي تفوق بسموها افكارك الخسيسة • وأنا أتحدى تحريضك • فاليك بخاتمي •

فيلاريو : انا لا أود ان يتم هذا الرهان •

ياشيمو : بحق السماء ، انا موافق • واذا جئتك باثباتات كافية تبرهن

على امتلاكي أثمن كنز في جسم حبيبتك فان مبلغ العشرة آلاف دينار الذي يخصني يصبح لك نظير ماستك • اما اذا رجعت بدون ان احصل على هذا الشرف الذي انت واثق من حرماني اياه ، فان ذهبي وهذه الجوهرة والسيدة ايضا ، وجوهرتك معها ، جميعها لك ، بشرط ان تؤمّن لي الوصول اليها بموجب رسالة توصية •

بستيموس : انا راضٍ بهذه المطالب • وليكن بيننا عقد اتفاق مكتوب• وهنا تنتهي مسؤوليتك • وعندما تتم مهمتك في مراودتها عن نفسها ، اذا لم تقدم لي برهانا دامغا على انك ظفرت بها ، فأنا لن أناصبك العداء ، لانها لا تستحق الخلاف فيما بيننا • لكن اذا لم تثبت لي انك نجحت في اغرائها فستسدد لي بحد هذا السيف جميع حسابك عن ادعائك المهين وعن تهجمك على عفتها •

ياشيمو : هاتِ يدك ، فالاتفاق تام مبرم على هذا الاساس ، وستكتب لنا بنود الاتفاق هيئة شرعية ، وسأذهب حالا الى بريطانيا خشية ان تغير رأيك وتعدل عن هذا الرهان الذي اخشى ان يلغيه مرور الزمن • سأجلب معي ذهبي وأسجل رهاننا فورا •

بستيموس : انا موافق •

(يخرج بستيموس وياشيمو)

الفرنسي : أتعتقد بأن هذا الرهان قائم حسب الاصول المرعية الاجراء؟

فيلاريو : لن يتخلى عنه السنيور ياشيمو • فهيا نلحق بهما •

المشهد الخامس

بريطانيا ـ في جناح الملكة

(تدخل الملكة وتتبعها نساؤها ثم كرنيليوس)

الملكة : ما دام الندى لا يزال يكسو الارض ، اذهبن واقطفن هذه الزهور • من منكن لديه الورقة ؟

السيدة الاولى: انا يا مولاتي •

الملكة : عجّلن اذاً •

(تخرج النساء)

والآن يا سيدي الطبيب ، هل اتيت بالدواء ؟

كرنيليوس : نعم ، حسب امرك يا صاحبة السمو • ها هو ، يا مولاتي• (يسلمها حنجورا صغيرا) لكني أتوسل اليك يا سيدتي، ان لا تستائي من سؤال يدفعني ضميري الى طرحه : لماذا طلبت مني هذا المركّب السام الذي يسبب الموت البطيء، ويقتل على مهل بصورة اكيدة •

الملكة : انا متعجبة يا دكتور من سؤالك هذا • أولست تلميذتك منذ

زمن بعيد ؟ أولم تتعلم مني تركيب العطور وصنع المربى الذي يغازلني الملك غالبا لاجل الحصول عليه • وبما اني ماهرة الى هذا الحد ، ولا تظنني عفريتة ، بل تجد من العدل ان ازيد معلوماتي بمعارف جديدة ، تراني أجرب مفعولها على مخلوقات غير مأسوف عليها ، لا على كائنات بشرية • وهكذا اختبر قوّتها وأحوّر مفعولها ببعض المحلولات ، ومن هنا اقف على مدى تأثيرها في شتى المجالات •

كرنيليوس : ان هذه العمليات تقسّي قلب سموّك ، والتحاليل لن تتم بدون استدراج الخطر وبعث التقزز والحذر •

الملكة : كن مطمئن البال •

(يدخل بيزانيو)

(على حدة) تباً لهذا الغبي • سأجري عليه اول اختباراتي لانه يخص بستيموس عدو ابني الوحيد • (بصوت عال) ما وراءك من الاخبار يا بيزانيو ؟ يا دكتور ، لم أعد بحاجة الى خدماتك فيمكنك الان ان تمضي •

كرنيليوس (على حدة) : تصرفك يثير شكوكي ، وأرجو ان لا تسببي أي أذى •

الملكة : إسمع هذه الكلمة • (تتحدث بصوت خافت الى بيزانيو)•

كرنيليوس (على حدة) : انا لا احب هذه المرأة • هي تعتقد بأنها تملك سمًا عجيبا بطيئا • اني اعرف نفسيتها ولا أريد ان أئتمن

مخلوقا مريبا نظيرها على دواء جهنمي مضر كما تظن . فان ما اعطيتها اياه قادر على التخدير فقط وتنويم الحواس موقتا . هي تجربه اولا على الكلاب والقطط ، ثم من يدري فيما بعد على من من المخلوقات البشرية تجربه ؟ نكن ليس في الموت الموقت الذي ينجم عنه من خطر غير تخدير عابر الذهن تليه حياة جديدة أنشط من السابقة . فأنا اخدعها بما أدعي بأنه من السموم ، وضميري مرتاح لاني أموه عليها الحقيقة هكذا بصورة مضمونة .

الملكة : انتهت مهمتك ايها الطبيب . فوداعا الى ان أحتاج اليك ثانية .

كرنيليوس : استأذنك بالانصراف (يخرج) .

الملكة : تقول انها لا تنقطع عن البكاء والنحيب . ألا تظن ان مرور الزمان يكفكف دموعها ويدع عقلها يتغلب على قلقها وهواجسها . باشر عملك وعندما تأتي لتبشرني بأنها تحب ابني سأقول لك حينئذ : بيزانيو ، انت عظيم كسيدك ، بل اعظم منه لان احواله اخذت تتدهور ولم يعد قادرا على تصعيد أنفاسه ، ما دام مجده قد أفل في هذه الساعة . لقد اضحى غير قادر على العودة ، كما انه لا يستطيع البقاء حيث هو . وتبديل مكانه لا يعني سوى تحويل بؤسه من سيء الى اسوأ ، وكل يوم جديد يغرقه اكثر فأكثر . ماذا تنتظر من اتكالك على شخص تميد مشيته ولا يقوى على

النهوض وليس له من نصير يسانده ؟

(تسقط الملكة من يدها الحنجور الذي اعطاها اياه كرنيليوس فالتقطه بيزانيو)

انت لا تدري ماذا تلمّ يا مسكين • احتفظ به لمعالجـــة الامراض لانه دواء شافٍ صنعته انا بيدي ، وقد انقذ الملك مرات عديدة من الموت المحتم ، ولا اعرف أنجـع منه • احتفظ به كعربون لكل الخير الذي أتمناه لك يا بيزانيو • ساعد سيدتك ونوّر طريقها المظلم • افعل ذلك كأنـــك تتصرف من تلقاء ذاتك • فكّر في الفرصة الملائمة التـــي تنفسح امامك لتخدمها باخلاص • ولا تنسَ انها سيدتك لمدى العمر وانك فوق ذلك تعتمد على ابني لكي يسهّل لك مهامك وقد أستحصل لك من الملك على الترقية التي تتوق اليها • وأخيرا انا ذاتي بنوع خاص اكون ساهمت في اظهار مقدرتك • أؤكد لك بأني سأغمرك دائما بالنعم وسأكون الى جانبك في كل صعابك • هيا نادِ لي نسائي ولا تغفل ما اوصيتك به • (يخرج بيزانيو) هو لص خبيث وأمين معا • لانه رجل ثابت الولاء ، لا يتزعزع اخلاصه ولا يحيد عن وفائه ، لذا يتكل عليه سيده • هو مستشار ايموجان ، يشدد دائما عزيمتها لتتمسك بزوجها • ولقد اعطيته هنا ما يستخدمه ليحرم ، عن غير قصد ، سيدته الحسناء سعادتها وهي ذاتها فيما بعد ، ان لم تليّن موقفها

المتصلّب ستذوق حتما هذا الاكسير الشافي • (يعــــود بيزانيو بصحبة سيدات يحملن زهورا) • هذا جميل ، جميل جدا • احمل هذه البنفسجات وهذه الازهــــــار المتنوعة الى حجرتي • الوداع يا بيزانيو ، فكّر جيدا بما قلته لك •

(تخرج وتتبعها نساؤها)

بيزانيو : أجل لن انسى • لكن اذا اتفق لي ان تخونني أماتتي نحو سيدي الكريم فسأخنق نفسي بيدي • هذا كل ما يسعني ان افعله لاجلك •

(يخرج)

المشهد السادس

في جناح ايموجان

(تدخل ايموجان)

ايموجان : والد صارم ، وامرأة اب لئيمة ، وطالب زواج غبي يصرّ على الاقتران بامرأة زوجها مبعد • آه ! اين انت يا قريني

العزيز ، يا سيدي ومالك فؤادي ، انت مصدر آمالـــي
وآلامي ، ان غيابك عني يضاعف عذابي . ليت اللصوص
اختطفوني نظير أخوي" . ألا قبحا لمن يتعلقون بكل ما
هو مجيد ، وسقياً للمتواضعين الذين يرون في الاكتفاء
بالاماني البسيطة منهل سعادتهم وهنائهم . (يدخل بيزانيو
وياشيمو . وعلى حدة تتفحّص ياشيمو) من هو هـــذا
الرجل الغريب ؟

بيزانيو : يا سيدتي ، انه وجيه روماني يأتيك برسالة من قبل مولاي
زوجك .

ياشيمو : ما لكِ تغير لونك ، يا سيدتي ؟ ان بستيموس الكريـــم
يتمتع بصحة جيدة ويبلغك أحر سلاماته ، يا صاحبـــة
السمو . (يمد رسالة الى ايموجان) .

ايموجان : شكرا لك ، يا سيدي . حللت على الرحب والسعة .

ياشيمو (على حدة) : ان مظهرها رائع ، واذا كانت نفسها كذلك بهية فهي
عنوان السعد . تشجعي يا سيدتي وتسلحي من قمـــة
رأسك الى أخمص قدميك لأبارزك كما فعل الاسبرطي وهو
يفر ، وإلا هربت انا بدون عراك .

ايموجان (تقرأ) : «هو من أنبل المراتب ، وسماحة روحه قد غمرتنـــي
بالافضال ، فأرجوك ان تعامليه بالمثل كما تفعلين بحبيبك
المخلص .

بستيموس » .

انا لا اتلو بصوت عالٍ سوى هذه الاسطر • اما بقيـــة الرسالة فتبهج فقط مهجة فؤادي وتفعمها بعرفان الجميل•
أرحب بك ايها الضيف الكريم بأجمل ما ينطق به لساني، وأبرهن لك عن حفاوتي بكل ما يسعني ان ابذله فـــي سبيلك •

ياشيمو : اشكرك يا سيدتي الجميلة • هل اصاب الرجال مس من الجنون ؟ لقد زوّدتهم الطبيعة بعينين للتأمل في أديـــم السماء وكنوز البر والبحر ، بعينين لا تخلط بين الكواكب المتألقة في كبد الفلك والاحجار الملساء المبعثرة على رمال الشاطىء • أوليست حواسنا مجهزة بأدوات عجيبة تتيح لنا التمييز بين القبيح والجميل ؟

ايسوجان : ما هو مصدر دهشتك ؟

ياشيمو : ليس ضعف النظر طبعا ، لان القرود ذاتها اذا وضعت بين اثنيين من فصيلتها تميل الى الاجمل بينهما وتبتعد عـــن الاقبح مرسلة صيحات الاستنكار حيال الاولى ومبديـــة حركات التحبيذ نحو الثانية ، ولا قلة التبصّر اذ حتـــى المغفّل حين يوجد في مثل هذا الموقف لا يسعه ان يتصرف خلافا لهذا المنطلق البديهي ، ولا عديم الذوق لان البشاعة المقذعة متى واجهت روعة الكمال تنفر من الجمود ولا تقوى على مقاومة الاغراء الذي تنجذب اليه صاغرة •

ايموجان : ماذا تقصد بهذا الكلام ؟

ياشيمو : ان التمرغ في الملذات يدع الشهوات ، عندما تدركها التخمة بدون ان ترتوي ، تهرب قبل ان يمتلىء جوفها اثناء ازدرادها أطيب المآكل وقبل ان لا يبقى امامها الا القمامة.

ايموجان : سيدي الكريم ، أي احساس يحملك على هذه الاجنحة المحلقة ؟ ألا تشكو من أي انحراف في مزاجك ؟

ياشيمو : كلا يا سيدتي ، انا على احسن حال . (لبيزانيو) أتوسل اليك يا سيد ، ان تتنازل وتوعز الى خادمي بأن ينتظرني حيث غادرته ، لانه غريب عن هذه الديار ويستولي عليه الارتباك .

بيزانيو : كنتُ يا سيدي على وشك الخروج لاستقباله . (يخرج)

ايموجان : تقول ان زوجي على احسن ما يرام . فكيف صحته ؟

ياشيمو : جيدة جدا ، يا سيدتي .

ايموجان : أملي ان يكون سعيدا .

ياشيمو : هو في غاية الابتهاج ، وليس هناك غريب منشرح الصدر نظيره حتى دعي البريطاني الماجن .

ايموجان : عندما كان هنا كان يميل الى الكآبة بدون ان يعرف لماذا.

ياشيمو : انا لم أره ابدا حزينا . ففي بيئته هناك فرنسي هو مولى كبير على ما يظهر متدلّه يحب فتاة غاليّة مقيمة في أملاكه وتبدو ملتهبة العواطف . فالبريطاني المرح أعني زوجك يضحك ملء رئتيه بدافع اشواقه الفياضة هاتفا : كيف يتسنى للرجل ان يتمالك عن الانسياق ، عندما يدرك عبر

التاريخ أو عن طريق السماع او بمجرد خبرته الشخصية، نفسية المرأة وما لا يستطيع مانع ان يصدها عنه ، ويقضي حياته في ندب عبوديته وحظه العاثر باستمرار ؟

ايموجان : هل يسوغ لمولاي ان يتكلم هكذا ؟

ياشيمو : أجل يا سيدتي • ان المرء يضحك احيانا حتى تدمع عيناه• ما اعظم التسلية التي يلاقيها الانسان هناك ، اذ يسمع التهكم المتواصل على الفرنسي • ولا اهمية لذلك ما دامت الظروف تجمع على ان هنالك رجلا تقع عليه كل الملامة في هذه المهزلة •

ايموجان : آمل ان لا يكون هو •

ياشيمو : لا ، ليس هو • مع ذلك يسعه ان يظهر عرفانا بالجميل لما تمنّ عليه الطبيعة من نعم غزيرة ، هو شخصيا موهوب ، ولقد استمد منك ، انت التي يعتبرك رصينة ، خيرا لا يقدّر بثمن • لكني مهما اضطررت للاعجاب به ، اراني مدفوعا ايضا للاشفاق عليه •

ايموجان : للاشفاق على من ؟

ياشيمو : عليه وعلى مخلوق آخر ارثي لحالهما من كل قلبي •

ايموجان : هل انا احدهما يا سيدي ؟ اراك تطيل النظر اليّ ، فهل تجد فيّ فجيعة تستحق شفقتك ؟

ياشيمو : كم هو محزن ان يهجر المرء الشمس المشرقة ويقبع في كوخ حقير معتم بقرب رجل مهووس تثقل كاهله الكروب !

ايموجان : ارجوك ، يا سيدي ، ان توضح جوابك على سؤالي : لماذا ترثي لحالي ؟

ياشيمو : كنت مزمعا ان أبيّن لك ان كثيرات غيرك يتمتعن ... لكن هذا من صنيع الآلهة التي تستفز للانتقام وليس من خصائصي انا ان أتحدث عنه .

ايموجان : يبدو عليك انك تعرف امرا يهمني ، فأرجوك ان تكشفه لي ، لان الخوف من الكارثة غالبا ما يكون أشد ايلاما من العلم بوقوعها . إما لان لا سبيل الى معالجتها ، او اذا تنبه المرء اليها في حينها ، لا يمكنه استدراكها وتلافيها . أمِط اللثام عن السر الذي تلمح اليه وتكتمه عني هكذا.

ياشيمو : لنفترض ان في وسعي ان اطبع قبلاتي على هذا الخد النضير وعلى هذه اليد البضّة التي تتطلب ملامستها والتشبث بها ، من الرجل اغداق أسخى عهود الحب ، فاني بهذا الشعور الذي يأسر نظراتي الوجلة ويسمّرها بجمالك ، عندما أعاني ظمأ الشوق ، اروي غليلي هكذا بحرية ، كأني اطير الى الجنة . واذا كررت معانقتك بأذرع خشنة ماكرة ، عذّب النفاق ضميري بدون انقطاع، واذا اغمضت اجفاني اخيرا ، وشرر الخبث والخداع يتطاير من عيوني كضوء يغشاه الدخان الكثيف ويشوبه القتام الاسود ، اكون مستحقا كل نيران الجحيم لمعاقبتي بصرامة على غلاظتي وخياناتي الفظيعة .

(يقترب من ايموجان ليعانقها)

ايموجان : النجدة ، يا بيزانيو •

ياشيمو : دعيني أثبت لك اخلاصي بتقبيل شفتيك •

ايموجان : اليك عني يا غادر • كم الوم نفسي على استماعي اليك هكذا طويلا • لو كان لك ذرة من الشرف لما فاتحتني بهذه الوقاحة ، ولاحترمت طهر فضيلتي دون ان تجسر على ابداء السفالة الدنيئة التي ترمي اليها • انك تلوّث سمعة وجيه بعيد جدا عما رميته به من تهم كبعدك عن الشهامة والاباء ، وتلاحق هنا امرأة شريفة تمقتك اكثر من ابليس اللعين • النجدة ، يا بيزانيو •

ياشيمو : ما اسعدك يا بستيموس ! لان ايمان زوجتك بك يستحق ثقتك بها ، كما هو حال فضيلتك النادرة حيال أماتتها الصامدة • طال عمرك ، يا زوجة اكرم مولى تفاخر بمروءته البلاد جمعاء ، لانك لا يسعك الا ان تكوني رفيقة انبل الرجال • جودي عليّ بعفوك • انا لم اكلمك بهذه اللهجة الا لأعرف كم هي عميقة جذور وفائك • هذه المرة أود ان أرسم لك صورة صادقة عن زوجك : يكفيني ان اقول انه أكمل رجل وجدته على وجه الارض ، وانه قديس طاهر الذيل تجله كل الفئات وتعشقه جميع القلوب •

ايموجان : اراك تعوض عليه عما سلبته اياه منذ لحظة •

ياشيمو : هو اشبه بإله نزل من عليائه الى ما بين البشر • له مهابة تضعه في مصاف الخالدين • فلا يغيظنّكِ ايتها الاميرة

الموقرة ، اذا تجرأت وجربت ايمانك بروايتي المزيفة .
فالاختبار اثبت لي صواب ثقتك بالرجل الكامل الذي وقع
عليه اختيارك الصائب والذي لا يدع مجالا للخطأ
والتراجع . ان المودة التي أكنها له في أعماق قلبي حملتني
على امتحان عواطفك ، لكن الآلهة ميزتك عن سائر
النساء بالطهر والنقاء من كل شائبة . فأكرر التماسي
عفوك .

ايموجان : اعتذارك مقبول وتعويضك كافٍ ، يا سيدي . لذا يمكنك
ان تستعين بسلطتي في البلاط للوصول الى اهدافك .

ياشيمو : اشكرك يا سيدتي . كدت انسى ان ألتمس ايضا من
سموك خدمة طفيفة ، ولكن هامة جدا ، تتعلق بقرينك وبي
انا وبنبلاء آخرين يهمهم الامر .

ايموجان : ماذا تريد ؟

ياشيمو : نحن اثنا عشر رومانياً ، بيننا زوجك الذي نعتبره خيرة
الرجال ، قد ساهمنا في جمع مبلغ من المال لشراء هدية
للامبراطور . وبما ان الاختيار لانجاز هذه المهمة قد وقع
عليّ ، بادرت الى شرائها من فرنسا ، وهي عبارة عن
مجموعة أوانٍ رائعة الصنع . في الحقيقة هي تحف رفيعة
الذوق فخمة ونادرة وذات قيمة كبيرة . وبما اني غريب
عن هذه الديار ، اتوق الى حفظ هذه الاواني في مأمن
فهل تسمحين لي بإيداعك اياها ؟

ايموجان : بكل طيبة خاطر ، وأتعهد بشرفي ان احرص عليها كل الحرص ، بما انك مهتم هكذا بأمرها يا سيدي ، وسأخبئها في حجرة نومي .

ياشيمو : هي مرصوفة في صندوق تحت حراسة رجالي . فائذني لي بأن ارسلها اليك هذه الليلة ، ما دامت سفينتي ستقلع غداه

ايموجان : لا ، لا ، هذا غير ممكن .

ياشيمو : العفو يا سيدتي . اني أستدرك قولي بتمديد اقامتي هنا . فأنا من منطقة غاليا حيث كنت ، ولم أجتز البحار الا لوفاء وعدي بأن أقابل سموّك .

ايموجان : اشكرك على ما تجشمته من عناء ، وأرجو ان لا ترحل غداه

ياشيمو : لا بد لي من السفر يا سيدتي . فأستحلفك ان تبلّغي تحياتي الى زوجك عندما تكتبين اليه هذا المساء بالذات . لاني تجاوزت المهلة المحددة لتقديم الهدية ، والامر كما ترين في غاية الاهمية .

ايموجان : سأكتب اليه . فارسل لي الصندوق الذي اعدك بأن أحافظ عليه ، وأن أرده لك بكل امانة . فأهلا وسهلا .
(يخرجان) .

الفصل الثاني

المشهد الاول

امام قصر ملوك بريطانيا

(يدخل كلوتن واثنان من الوجهاء)

كلوتن : هل في الدنيا اسوأ من حظي العاثر ؟ عندما اشرفت على بلوغ مرامي ابصرت غيري يغتنم الفرصة السانحة. فخسرت مئة دينار على الفور . وبعد ذلك ، لا ادري أي علج يأتي ليلومني على ما أتلفظ به من شتائم ، كأني أستعير منه هذا السباب ، ولا حق لي في التصرف هكذا على هواي .

الوجيه الاول: وماذا ربح من ذلك ؟ لقد ألقمته عشرين حجرا وأخرسته.

الوجيه الثاني (على حدة) : من حسن طالعي كان للضحية
دماغ اكبر من دماغ المعتدي • وإلا لما بقي له ذرة من
العقل •

كلوتن : عندما يكون السيد مستعدا للاهانة ، لا يجمل بالحاضرين
ان يقاطعوه • أليس كذلك ؟

الوجيه الثاني: أجل ، يا مولاي • (على حدة) ولا ان يخدش هو آذانهم•

كلوتن : هل يريد هذا الكلب المحتال ان أراضيه انا ؟ وهل هو من
مستواي ؟

الوجيه الثاني (على حدة) : هو ليس سوى أحمق •

كلوتن : ولا شيء في الدنيا يضايقني اكثر منه • سحقا له من جبان!
وددت ان لا اكون هكذا نبيلا ، فلا يجسر احد على
منازلتي ، لاني ابن الملكة ، ولم اجد الى الان غبيا يسنعه
ان يقاتلني بجرأة • عليّ ان أظل اتبختر كديك لا يجد له
مزاحما •

الوجيه الثاني (على حدة) كديك مسمَّن منتفخ الاوداج ، انت لا تجاريه
الا بالصياح والتشامخ فقط •

كلوتن : ماذا تقول ؟

الوجيه الاول: لا يليق بسيادتك ان تقارن نفسك بجميع الاشخاص
الذين تهينهم •

كلوتن : لا ، انا اعرف ذلك • ولكن لا بد لي من ان أهين من هم
دوني مرتبة •

الوجيه الثاني: هذا لا يليق الا بسيادتك •
كلوتن : هذا بالضبط ما أردده •
الوجيه الاول: هل سمعت بأن اجنبيا وصل الى البلاط هذا المساء ؟
كلوتن : تسأل عن اجنبي ؟ لست ادري •
الوجيه الثاني (على حدة) : حقا هو فتى غريب الاطوار ، لا يدري بشيء•
الوجيه الاول: نعم ، لقد جاء ايطالي يقال انه من اصدقاء بستيموس •
كلوتن : أي بستيموس ؟ هذا السافل المبعد ؟ مهما كان الامر ، فصديقه هو حتما شخص آخر • ومن حدثك عن هذا الاجنبي ؟
الوجيه الاول: احد أتباع سيادتك •
كلوتن : هل من مانع لان أذهب وأراه ؟ وهل ذلك يخالف الاعراف؟
الوجيه الاول: انت لا يمكنك ان تخالف يا مولاي •
كلوتن : هذا ليس سهلا على ما اظن •
الوجيه الثاني: انت في الواقع بلغت غاية الحمق ولا تستطيع ان تحيد قيد شعرة عن قول السفاهات •
كلوتن : انا ذاهب لأرى هذا الايطالي ، ولاسترد منه هذه الليلة ما خسرته اليوم في اللعب • هيا تعال معي •
الوجيه الثاني: سأتبعك عما قليل • (يخرج كلوتن مع الوجيه الاول) • (وحده) هل من الممكن ان تكون عفريتة ماكرة كأمه قد ولدت هذا الحمار ، او ان تكون امرأة لا تفوت ذكاءها شاردة ولا واردة قد انجبت ابنا مغفلا كهذا ، لا يعرف

خمسه من طمسه • لهفي علَيكِ ايتها الاميرة ايموجان ، ضحية اللؤم والغدر ، كم تتعذبين بين والدك الذي تتحكم به أهواء امرأة ابيك، هذه الافعى التي لا تتورع عن حياكة المؤامرات لك في كل حينٍ ، وبين طالب زواج بغيض يصر على الاقتران بك بالرغم من وجود زوجك العزيز على قلبك حيا في المنفى ، وعلى الطلاق الفظيع المطلوب منك بإلحاح لهذه الغاية الدنيئة • اني أسأل السماء ان تصون سعادتك وتحفظ نقاوة نفسك الطاهرة ، وألتمس لك طول العمر وعودة قرينك المبعد وسلامة ملكك المهدد •

(يخرج)

المشهد الثاني

(حجرة نوم ايموجان ، مفروشاتها فخمة . الارض يكسوها السجاد ، وعلى الطاولة اناء من الفضة منقوش عليه مشهد لقاء انطونيوس وكليوباترا عند نهر سدنوس في صقلية .

في الصدر موقد من حجر فوقه تمثال ديانا تستحم والى جانبها كوبيدون المجنح يقف بروعة وبراءة . وهنا وهناك بعض اللوحات ، والسقف مزين بملائكة مجنحة . في الزاوية صندوق ، وايموجان في سريرها منشغلة بالقراءة على نور مشعل يرتكز على طاولة بقربها) •

(تدخل احدى تابعاتها المدعوة هيلينا)

ايموجان : من الآتي الى هنا ؟ أإحدى نسائي ، هيلينا ؟
هيلينا : نعم يا سيدتي • انا في خدمتك •
ايموجان : كم الساعة الان ؟
هيلينا : قاربت منتصف الليل ، يا سيدتي •
ايموجان : لقد قرأت مدة ثلاث ساعات ، فتعبت عيناي • ضعي علامة على الصفحة التي وصلت اليها ، واذهبي الى النوم • لا تأخذي المشعل بل اتركيه مضاء • فاذا استطعت ان تنهضي باكرا في الساعة الرابعة ارجوكِ ان توقظيني • لقد غلبني النعاس • (تخرج هيلينا) ايتها الآلهة ألتمس حراستك وأتوسل اليك ان تحميني من الجنّيات ومن أشباح الليل • (تستسلم الى النوم • فيخرج ياشيمو من الصندوق) •
ياشيمو : ها قد خلا لي الجو • بالنوم يريح الانسان حواسه المتعبة• هكذا وقف مواطني «تركان» بلطف على السجادة الناعمة قبل ان يوقظ الحسناء العفيفة التي اغتصبها • ايتها السارحة في جزيرة الاحلام ، كم زينتِ مضجعك بالزنبق الناصع البياض كشراشفك المعطرة ، وكم أتمنى ان أضمك الى صدري وأن اطبع على خدك ولو قبلة واحدة ! ايتها المرجانة الفريدة، ما أغلاكِ على قلبي بنضارتك وأنفاسك العطرة المنتشرة في جو هذه الحجرة ! ها هوذا المشعل يرنو اليك كأنه يتأمل اجفانك المسدلة كالستائر الحريرية

المزركشة بألوان لازوردية ، والمذيّلة بشراريب ، زرقتها تحاكي صفاء أديم السماء . لكن عليّ ان لا أضيّع الوقت وأغفل عن مشروعي . ولكي أتذكر تفاصيل الحجـــــرة بحذافيرها عليّ ان أسجل ما يقع عليه نظري .

(يسحب دفترا صغيرا من جيبه ويكتب بعض الملاحظات)

اللوحات الزيتية . النافذة بقرب السرير الفخم . السجادة تمثل اشخاصا ومشاهد ومواضيع شهيرة . عليّ ايضا ان اكتب ملاحظات عن جسمها هي لانها أهم الف مرة مـــن وصف الاثاث ، وتزيد قيمة معلوماتي هذه . ايها النوم الشبيه بالموت ، أثقل أجفانها وأفقدها حواسها لتصبـــح كأنها مسجاة في نعش وسط معبد مهيب . (ينتـــــزع اسوارها من يدها) . سأحتفظ بهذا الاسوار الذي كـــان ملتفا حول معصمها كعقدة مستعصية وقد انتزعته كبرهان قاطع دامغ ، وكوخز ضمير للزوج اليائس . على نهدهـــا الايسر علامة مؤلفة من خمس بقع تحاكي النقاط الارجوانية البارزة على كم زهرة الربيع . وهذه ضمانة لا يقـــوى الزوج على دحضها لان البوح بهذا السر الخفي يضطره الى الاعتقاد بأني خلعت القفل وسلبته كنز سعادته . وهـــذا يكفيني . (يتظاهر بالكتابة على الطاولة) كانت تقرأ قصة «تاري» والورقة مطوية عند مقطع استسلام فيلومال . هذا كافٍ . لأرجع الى الصندوق وأقفله . عجّل بالرحيل

يا تنّين الليل ، واطلع يا نور الفجر بسرعة ، وافتح يـــ
غراب البين عينيك ، لاني مختبىء في ظلمة الرعب الرهيب،
وبالرغم من وجود ملائكة الجنة هنا لا تفارقني شياطين
الجحيم • (تدق الساعة الكبيرة) واحدة ، اثنتان ، ثلاث ،
ها هي الساعة الثالثة • حان الوقت ، حان الوقت •

(يعود الى الصندوق)

المشهد الثالث

تحت نوافذ جناح ايموجان

(يدخل كلوتن برفقة بعض الوجهاء)

الوجيه الاول: عندما تخسر ، يا صاحب السيادة ، تبدو اللاعب الاكثر
جلـدا والأشد رباطة جأش بين جميع من يتداولون لعب
الورق •

كلوتن : ليس من انسان لا يتأثر بالخسارة •

الوجيه الاول: ولكن من النادر ان يوجد لاعب اكثر صلابة من سيادتك
في الخسارة • لانك لا تتحمس الا عندما تربح فقط •

كلوتن : الربح يشجع كل الناس • فاذا توصلت الـــى كسب قلب

اللعينة ايموجان أمسي اغنى الاثرياء • اقترب الصباح على ما ارى ، أليس كذلك ؟

الوجيه الاول: أجل ، طلع النهار ، يا مولاي •

كلوتن : كم أود ان تكون هنا جوقة موسيقية ! فلقد نصحني البعض ان اسمع حسنائي أحلى الالحان في كل صباح ، لانها تتغلغل الى صميم الفؤاد على ما يقال •

(يدخل الموسيقيون)

اضبطوا آلاتكم جيدا ، وان تمكنتم من ايقاظها بأناملكم فذلك أولى ، وإلا لجأنا الى اللسان ايضا • واذا لم يفعل ذلك فيها فلتظل على ما هي • انما انا لن اتراجع ابدا عن عزمي • فابدأوا بعزف مقطوعة شهيرة ثم اتبعوها بنغم آخر شجي ترافقه كلمات رقيقة وبعدئذ ندعها تفكر في الامر •

نشيد

اسمعي البلبل يشدو على باب السماء
ها هو فابوس إله النوم يوقظه الغناء
فيرسل فارسه الى الينبوع يستحمّ
بقرب الزهرة العطرة المتفتحة الكمّ
وشقيقاتها الورود تبهر بألوانها الانظار
وجموعها ترقب، وقد سئمت الانتظار
فافتحي عينيك يا زينة الحسان

وانهضي واطربي لأعذب الالحان
ها هو الصبح قد بان

كلوتن (للموسيقيين) : هيا انصرفوا الان • فان أثّرت فيها موسيقاكم فاني لمقدّرها حق قدرها • اما اذا لم تؤثر فيها فتكون في أذنيها علة لا تقوى على شفائها شعيرات الحصان المربوطة بالقوس ، ولا مصران العجل الذي صنع منه الوتر ، ولا لأصوات الخصيان والقيان فيها من علاج •

(يخرج الموسيقيون ، ويدخل سمبلين بصحبة الملكة)

الوجيه الثاني: ها هوذا الملك •

كلوتن : يسرني ان اكون مستيقظا في ساعة متأخرة من الليل ، فهذا دليل على اني افقت من النوم باكرا • ولا يسع الملك الا ان يرعى اخلاصي هذا بعطفه الأبوي • السلام على جلالتك وعلى والدتي النبيلة •

سمبلين : ما لك تنتظر في هذه الساعة على باب ابنتي ؟ أولم تشأ العنيدة ان تراك ؟

كلوتن : لقد أتحفتها ببعض الموسيقى ، ولكنها لم تتنازل الى سماعها •

سمبلين : لم يمض على نفي حبيبها زمن طويل ، فلم يتسنّ لها ان تنساه • لا بد من مرور بعض الوقت لمحو ذكراه من قلبها، ولن تلبث ان تصبح لك •

الملكة : انت مدين كثيرا للملك الذي لا يغفل عن وسيلة يخدمك بها

حيال ابنته . فواظب على مغازلتها ، وابحث عن الفرص وضاعف اهتمامك بها مهما ابدت لك من جفاء ، وتصرف بما يلهمك فؤادك من اللياقات التي لا بد لك من احاطتها بها . أطعها في جميع الامور ما عدا التي ترمي الى ابعادك عنها ، والتي يجب عليك حيالها ان تتعمد قلة الفهم والاحساس الى ان تميل اليك في نهاية المطاف .

كلوتن : قلة الفهم والاحساس ؟ لا قبل لي بارتضاء هذه النقائص لنفسي .

(يدخل رسول)

الرسول : اسمح لي ، يا مولاي . هنالك سفراء قادمون من روما بينهم القائد لوسيوس .

سمبلين : انه رجل ممتاز . واذا كانت مهمته التحذير فليس الذنب ذنبه . يجب علينا ان نستقبله بما يليق من حفاوة بشخصه وبمقام من ارسله الينا ، ثم نظرا لما يستحقه هو لقاء ما قدمه لنا من خدمات جليلة . (لكلوتن) يا ابني العزيز ، بعد ان تحيّي حبيبتك يمكنك ان توافيني ، لاني بحاجة اليك لاستقبال هذا الروماني . تعالي ايتها الملكة .

كلوتن (وحده) : سأكلمها ، ان كانت مستيقظة ، وإلا تركتها نائمة تحلم (يطرق الباب) اسمحوا لي بالدخول . انا اعرف ان نساءها يحطن بها احاطة الاسوار بالمعصم ، فلماذا لا أرشو احداهن ؟ الذهب يفسح المجال دوما للدخول الى كل مكان تقريبا . والذهب قد اغرى حراس ديانا ،

فجرّوها كالنعجة الى الذبح . والذهب يهلك النبيل الشريف وينقذ اللص الحقير ، وكثيرا ما يرسل الى المشنقة الحقير والشريف معا . لا احد يدري ما يسعه ان يفعل او لا يفعل . انا أود ان أستميل احدى هؤلاء النساء لتدافع عن قضيتي ما دمت لا اتقن أسلوب المرافعة في دعواي . (يطرق الباب) اسمحوا لي بالدخول .

(تقترب احدى المرافقات من الباب)

المرافقة : من الطارق ؟

كلوتن : وجيه .

المرافقة : ومن هو هذا الوجيه ؟

كلوتن : ابن سيدة رفيعة المقام .

المرافقة (تفتح) : كثيرون ممن هم أظرف منك لا يحق لهم ان يتذرعوا بهذا القول . فماذا ترغب ، يا صاحب السيادة ؟

كلوتن : مقابلة سيدتك ، هل هي متأهبة ؟

المرافقة : لملازمة حجرتها .

كلوتن (يعطيها كيسا) : هذا بعض المال لكي تخصّيني بمديحك حيالها .

المرافقة : ماذا تبغي ؟ أتريد رأيي الخاص بك ام الثناء الذي قد تستحقه ؟ ها هي الاميرة قادمة (تأتي ايموجان بغتة) .

كلوتن (لايموجان) : نهارك سعيد ، يا احلى الحسان . اسمحيلي بيدك الناعمة .

(تنسحب المرافقة)

ايموجان : نهارك سعيد يا سيدي • انت مستعجل جدا لتلقي الخيبة ، هذا الصباح • فلا شكر لك عندي على مسعاك، ويمكنني ان أصرح لك بأني عاجزة عن مدحك الذي ليس لديّ منه ذرة امنحك اياها •

كلوتن : مع ذلك ، أقسم لك بأني احبك •

ايموجان : ان كفاك التلميح ، اعتبرت تصرفك رصينا • انما مهما اقسمت من يمين ، فلن يكون نصيبك مني الا النفور والازدراء •

كلوتن : ما هذا الجواب ؟

ايموجان : رَدّي هو من قبيل الخشية ان تهتف : «ان السكوت علامة الرضى» • ارجوك ان تكف عن ملاحقتي • ما دمت أعلن لك اني سأقابل تزلفك هكذا على الدوام • لا بد للرجل المدرك الفهيم بعد هذا الصد من ان يعرف كيف يلزم حده وينصرف •

كلوتن : ان أصررت على التشبث بتخبّطك في هوسك خبط عشواء، سيكون اذعاني لمشيئتك جريمة في حق ذاتي ، انا لست مستعدا لارتكابها •

ايموجان : الوغد الوقح فقط لا يعرف الغيظ سبيلا الى صدره •

كلوتن : أتنسبين الوقاحة اليّ انا ؟

ايموجان : نعم ، وان كنت انا مهووسة ، فعليك انت بالفطنة ، ، ولا تحرجني فتغضبني • وهكذا نشفى كلانا معا من بلوانا •

انا آسفة يا سيدي ، لكون سلوكك الشاذ ينسيني تصرف المرأة اللطيفة لأكلمك باللهجة اللائقة • كن على يقين بأني أعرف جيدا ما أريد ، وأعلن لك بكل صراحة من جديد عدم اكتراثي بك ، لا بل كرهي الشديد لك ، مهما حكمت على قلبي بأنه قُدّ من الصخر الأصم • ويؤسفني جدا ان لا تكون قد ادركت ذلك حتى الان ، وإلا لما اضطررتني الى ترديده عليك مرارا عديدة •

كلوتن : انت ترتكبين خطأ فظيعا بعصيانك مشيئة والدك ، لان العقد الذي تدّعين بأنه يربطك برجل حقير عاش على الاحسان وعلى فضلات البلاط ما هو الا مستند فاسخ باطل • للناس البسطاء حرية الزواج كي ينجبوا الصعاليك وينشروا البؤس حولهم بارتباطهم على هواهم • انما هذه الوثيقة محرمة عليك بطبيعة انتسابك الى التاج الذي لا يحق لك ان تدنسي شرفه باتصالك بمحتال خسيس هو سائس خيل سخيف بل فتى وضيع الاصل كهذا الذي تتمسكين به •

ايموجان : ما اقسى قلبك ! لو صرت ابن الاله المشتري ، وأنت لا تستحق ان تكون حتى موطىء نعله ، لبقيت تافها لا تصلح لان تكون خادمه • بل سيكون لك شرف عظيم ، بسبب ما تنطوي عليه نفسك الخبيثة ، ان توصلت الى العمل كأجير جلاد في مملكته • ولسوف يقتلك الحقد والحسد،

اذا نلت هذا الامتياز •

كلوتن : ليت الصواعق تنزل على صاحبك وتمحقه !

ايموجان : لن تحل به مصيبة اعظم من تعرّضك اليه بالسوء • فـــان اصغر بثرة تبرز في جسمه لهي في نظري أطهر وأغلى من كل شعر رأسك عندما تصبح كل شعرة صعلوكا نظيرك (تنظر الى ساعدها) والآن (تصرخ) اليّ يا بيزانيـــو •

(يدخل بيزانيو) •

كلوتن : انتِ اذاً تحتقرينني !

ايموجان (لبيزانيو) : اذهب حالا بسرعة ، ونادِ وصيفتي دوروتي •

كلوتن : أتحتقرينني الى هذا الحد ؟

ايموجان : الى متى ستظل تطاردني ايها الابله المغرور ؟ اذهب وقـــل لوصيفتي ان تأتي باسواري الذي سقط من معصمي بدون انتباه ؛ فهو هدية من سيدك زوجي • لتحلّ عليّ اللعنة ، اذا كنت أريد ان يفارقني حتى ولا اكراما لاكبر ملك في اوروبا • يخيل اليّ اني شاهدته هذا الصباح ، وأنا على يقين بأنه كان يوم امس في معصمي ، لاني قبّلته بالنيابة عن صاحبه (على حدة) ارجو ان لا يذهب هذا الغبي الى زوجي ويخبره بأني ارضى عنه بأي بديل •

بيزانيو : انا أستبعد ان يكون قد ضاع •

ايموجان : هذا كل املي • فاذهب وجئني به بدون تأخير (يخـــرج بيزانيو) •

كلوتن : لقد اهنتِني اهانة لا تغتفر عندما صرحت لي بأنك تمقتينني •

ايموجان : أجل ، أؤكد لك ذلك تكرارا • وان اردت ان ترفع شكواك الى القاضي ، فأنا مستعدة لان أعيد امام الشهود ما قد قلته لك مرارا •

كلوتن : سأعلم أباكِ بالامر •

ايموجان : وأخبر أمك ايضا ، فهي حاميتي ، وأنا واثقة بأنها ستبيّن لك خبثك الفاضح • وبناء على ذلك اتركك وأنت في أشد غيظك (تخرج) •

كلوتن : سأنتقم منك لاحتقارك اياي ، وسترين كيف سأرد لك الصاع صاعين •

(يخرج)

المشهد الرابع

روما ــ في منزل فيلاريو

بستيموس : لا تخف يا سيدي • أريد ان أتيقن من رعاية الملك التي أكدتَ لي انه يحيط بها ايموجان بصورة لا تقبل الشك •

فيلاريو : وما هي وسائلك لجعل الملك يعتنق فكرتك ؟

بستيموس : ليس لديّ اية وسيلة . انا مضطر الى انتظار موافقتها المحققة لا محالة مع مرور الزمن . اني أرتجف من برد هذا الشتاء ، آملا ان تجيئني الايام المقبلة بالدفء الذي أتمناه . وعلى هذا الرجاء المترجرج ، اضع اتكالي لتسديد ما يتوجب عليّ نحوك كصديق . فان اخفقت ستدركني المنيّة وأنا لا ازال مدينا لك بالكثير .

فيلاريو : ان مودتك وصحبتك تعوض عليّ مالي مع الفائدة . وفي هذه اللحظة ، لا بد للملك من ان يكون قد علم بأنباء أغسطس العظيم ، وها هو لوسيوس يقوم بالمهمة على أكمل وجه . أعتقد بأن سمبلين سيلبي الطلب ويرسل المتأخر من الجزية . وإلا عليه ان يستعد لمواجهة الرومانيين هنا من جديد ، وهو لا يزال يذكر ما تحمّل شعبه من الآلام .

بستيموس : أما انا ، وان لم اكن رجل دولة ، ولا أمل لي بأن اصبح واحدا ، أظن ان ذلك سيؤدي الى الحرب ، وستسمع قريبا بأن الجيوش الموجودة حاليا في مقاطعة غاليا قد احتلت شواطىء بريطانيا التي لا تعرف الخوف قبل ان يدروا بأن اية جزية قد دفعت . ان مواطنيّ مدربون اليوم تدريبا أفضل مما كانوا عليه حين ابتسم يوليوس قيصر لقلة خبرتهم ، بالرغم مما يقدّره فيهم من شجاعة لا تهاب المنايا . والآن وقد أضيف انتظامهم الى بسالتهم فان

المتحدي سيلمس كم ارتقى الشعب البريطاني في سلم
التقدم . (يدخل ياشيمو) .

فيلاريو : ما وراءك ، يا ياشيمو ، من الاخبار ؟

بستيموس : لا بد للغزلان الاكثر رشاقة من ان تجر عجلاتكم على الارض ، وأن تنفخ أشرعتكم كل الرياح مجتمعة لتجتاز سفنكم البحر بمثل هذه السرعة .

فيلاريو : أرحب بك ، يا سيدي .

بستيموس : ان الجواب الذي تلقيته هو على ما أظن سبب رجوعك العاجل .

ياشيمو : في الحقيقة ، أعترف بأن زوجتك من اجمل ما شاهدت من النساء .

بستيموس : وهي من أطهرهن ، وإلا لكانت أطلت بحسنها من النافذة لتغري المستهترين أمثالك وتنغمس معهم في حمأة الملذات .

ياشيمو : هذه رسالة منها موجهة اليك .

بستيموس : أظنها لا تحوي الا أنباء مطمئنة .

ياشيمو : ربما . (يفتح بستيموس الرسالة ويقرأها) .

فيلاريو (لياشيمو) : هل كان لوسيوس في بلاط بريطانيا عندما كنت انت هناك ؟

ياشيمو : كان قدومه منتظرا ، ولكنه لم يكن قد وصل بعد .

بستيموس : الى هنا ارى الامور تجري على ما يرام . (يري خاتمه

لياشيمو) هل هذا الحجر الكريم لا يزال يحافظ على بريقه ، ام تراه قد فقد لمعانه كي لا تضعه كحلية في اصبعك ؟

ياشيمو : ان خسرت سأدفع قيمته ذهبا ، وسأسافر مسافة مرتين أطول لأقضي بسرور ليلة ثانية اروع من التي قضيتها في بريطانيا لاني ربحت هذا الخاتم .

بستيموس : المسألة خطيرة جدا ، ان كانت قد قبلت بسهولة .

ياشيمو : كلا ، كلا ، لاسيما امرأة امينة نظير زوجتك .

بستيموس : لا تموّه خسارتك بالتهريج يا سيدي . أملي ان تكون عالما بأننا لا يسعنا والحالة هذه ان نظل اصدقاء .

ياشيمو : هذا واجب علينا يا سيدي العزيز ، طالما تقيدتَ انت باتفاقنا . لو لم أبيّن لك معرفتي الاكيدة بزوجتك ، لكانت مناقشتنا امتدت الى ابعد الحدود . لكنني في الوقت الحاضر اعلن لك اني كسبت رضاها وخاتمك دفعة واحدة. ولم أغشّ احدا منكما . لاني لم أتصرف الا حسب اتفاقي مع كليكما .

بستيموس : اذا تمكنت من اثبات ادعائك مضاجعتها ، فان خاتمي مع يدي ملك لك ، وإلا فبعد اساءتك التي تتبجّح بها بحق فضيلتها وعفّتها يتحتم على احدنا ان يتخلى عن سيفه لخصمه او ان يجرد احدنا مزاحمه من السلاح ، ونهدي سيفينا معا لاول القادمين .

ياشيمو : ان التفاصيل البديهية التي أنوي تقديمها لك ستقنعك حتما.
واذا اقتضى الامر سأؤكدها لك بحلفان اليمين ، وأنا لا
أشك بأنك ستحملني على القيام بهذه الرسميات حالمــــا
تجدها ضرورية .

بستيموس : تابع كلامك .

ياشيمو : لنتحدث اولا عن حجرة نومها . انا أقر بأني لم أندس في
سريرها، وأعلن ان ما شاهدته في جوانب الغرفة يسترعي
الانتباه . هي مكسوّة بالسجاد ومزينة بآنية فضية نادرة،
يمثل احدها كليوباترا عند التقائها برجلها الروماني ، وهي
تحفة رائعة تشهد بمهارة اليد التي صنعتها ، وتسـاوي
أضعاف قيمة معدنها ، وقد أعجبت ببراعة نقوشها ، ودقتها
تنطق بحيويتها وروعتها .

بستيموس : كل هذا صحيح . ولا يستبعد ان تكون قد سمعت وصفه
مني او من أي شخص آخر سواي .

ياشيمو : هناك أخبار خاصة تزيدك يقينا بصحة معلوماتي .

بستيموس : عليك ان تثبت ذلك ، وإلا تعرّض شرفك للاهانة .

ياشيمو : الموقد قائم في جنوب الحجرة ، وفوق بلاطته رسم ديانــا
العفيفة في الحمّام ، لا ينقص ابداعها سوى النطـــق .
فالفنان الذي رسم هذه اللوحة الصامتة كان خلاّقا أصيلا،
فاق الطبيعة براعة وعبقرية .

بستيموس : هذا ايضا لا يستغرب ان تكون حصلت عليه من رواية ما،

اذ كثيرا ما جرى الحديث عليها •

ياشيمو : السقف موشّى بملائكة من ذهب نافر ، كما ان هناك تمثال من الفضة لكوبيدون مجنّح ، واقف على رجل واحدة •

بستيموس (وقد عيل صبره) : الامر الاهم هو شرفها • لنفترض انـــك شاهدت كل هذا بأم عينك وانك تمتاز بقوة الذاكرة ، فوصفك محتويات الحجرة ليس برهانا على انك ربحت الرهان •

ياشيمو (يسحب اسوار ايموجان) : انا واثق بأن لونك سيمتقع عند رؤية هذه المجوهرة (يبرزها) انظر (يقربها منه) • الان انا أمسك بالدليل القاطع ، لان هذا الاسوار هو من صنف خاتمك معدنا وصياغة ، وأنا مصمم على الاحتفاظ بكليهما •

بستيموس : بحق السماء • دعني ألقِ عليه نظرة ثانية ، لأرى ان كان حقا عين الاسوار الذي اهديتها اياه ؟

ياشيمو : اؤكد لك انه هو ذاته • فقد خلعته زوجتك من معصمها وأهدتني اياه ، وأنا لا ازال معجبا بطريقة تقديمه لي ، اذ ضاعفت قيمته • لانها عندما اهدتني اياه صرحت لي قائلة: «لقد تشبثتُ به في الماضي بكل قواي» •

بستيموس : ألا يُحتمل ان تكون قد انتزعته هي لترسله اليّ ؟

ياشيمو : وهل هذا ما كتبته لك ؟

بستيموس : لا ، لا • ان ما قلته انت صحيح • (يريه خاتمه) • خذ هذا ايضا لان رؤيته تكاد تقتلني • فالشرف ليس دائما حيث

يتألق الجمال ، والحقيقة ليست حيث تبهر الظواهـــر ، والحب ليس حيث يحوم اكبر عدد من الرجال ، والمرأة لا ترتبط بقسمها حيال من توهمه بأنها متعلقة به اكثر مـن فضيلتها التي لا وجود لها في الواقع ، فكل هذه الامور باطلة .

فيلاريو : هدىء روعك ، يا سيدي . خذ خاتمك لاني لم اربحه بعد. اولا يحتمل ان تكون قد اضاعت هذا الاسوار ؟ ومـن يدري ان كانت احدى نسائها قد قبضت مبلغا من المال لسرقته منها ؟ رد لي خاتمي . ثم أورد لي بعض العلامات الفارقة في جسمها ، فهي أضمن من غيرها . لان الاسوار لا بد من ان يكون قد سرق منها .

ياشيمو : أقسم لك بالاله المشتري اني حصلت عليه حين انتزعته هي من معصمها .

بستيموس : هل هو صادق حقا ؟ انه يحلف بالاله المشتري . لا شك عندي ، بل انا واثق ، بأنها لم تضيّعه ، انما استأثر به ، لان النساء المرتبطات بقسم يبقين شريفات . لكن ، هل يمكن ان توافق هي على انتقاله الى غريب ، الا اذا سلمته اياه تسليما حين استسلمت اليه ، وهذا برهان قاطع على عارها ، وثمن زهيد لتحوّلها الى عاهرة . (يعرض الخاتم) هيا ، خذ أجرك . ولتنازعك اياه جميع أبالسة الجحيم .

فيلاريو : هدىء روعك ، يا سيدي . هذا غير كافٍ لاقناع رجل لا

يتطرق الريب الى قلبه •

بستيموس : لا تنطق امامي بعد الان بكلمة واحدة • فليس لدي من شك في انه قد اعتدى عليها •

ياشيمو : هل تريد اثباتات اخرى ؟ ان فوق نهدها علامة متوارية قليلا • وأقسم لك بحياتي بأني عندما قبّلتها تجددت في أحشائي الرغبة بعد الارتواء مما قد غنمته منها • ألا تذكر هذه البقعة ؟

بستيموس : أجل وهي تشير الى علامة اخرى اكبر منها ، ووحدها فقط تقود الى هوة الجحيم •

ياشيمو : هل تريد ان تسمع المزيد ؟

بستيموس : دعني من وصفك هذا ، ولا تعدد لي غيره ، لان واحدا يساوي الملايين •

ياشيمو : أقسم لك •••

بستيموس : لا أريد حلفانا • فلو اقسمت لي ، بعدما سردته الان ، بأنك لم ترتكب جرما لاعتبرتك منافقا وصممت على قتلك ، حتى ان أكدت لي انك لم تأت أي منكر •

ياشيمو : انا لا اقصد الانكار •

بستيموس : سحقاً لها ! لو كانت حاضرة هنا لقطعت لحمها اربا اربا • سأذهب الى بريطانيا وأنفّذ فيها وعيدي حتى في عقر دارها وأمام عرش ابيها • أجل سأنزل بها ما تستحقه من العقاب (يخرج) •

فيلاريو (يشير الى بستيموس المنصرف) : لقد اخرجه الغضب عن صبره .
(لياشيمو) وربحت انت . تعال تتبعه ونبدد عنه ما تملكه
من الغيظ .

ياشيمو : هيا بنا .

(يخرجان)

المشهد الخامس

روما ـ في مكان منفرد

(يدخل بستيموس)

بستيموس : أولا يمكن خلق الرجال بدون اشتراك المرأة في نصف
هذا العمل ؟ يخيل الي انا كلنا اولاد الزنى ، ولا ادري
اين كان الرجل الاصيل الذي ادعوه ابي ، حين حبلت بي
امي ، وأخشى ان يكون رجل آخر مخاتل خدّاع قـــد
دقني بمطرقته ؟ مع ان والدتي تعتبر طاهرة كديانا عصرها،
نظير زوجتي في الوقت الحاضر بالنسبة الى ولدها العتيد
العجيب . فالى الانتقام . كم مرة طلبت مني العدول عن

رغباتي الشرعية والتمست مني الامتناع ، وخداهـــــا متوردان حياء الى حد يستفز رصانة الاله ساتيرن • كنت أعتقد بأنها أطهر من الثلج القابع في الظل ، واذا بياشيمو الشاحب اللون ينبري من بين جميع الشياطين في ساعــة مشؤومة ، بل ربما أقل من ساعة ، منذ الدقائق الاولى وبدون ان ينبس ببنت شفة ، كخنزير جرماني قذر قضى لباناته منها • ولتغطية هذه الجريمة الاخلاقية البشعة ، لم يلقَ منها سوى مقاومة طفيفة شكلية كان يتوقعها ، وبعناق واحد وضمة واحدة التحم جسده النتن بجسدها النجس • ليتني قادر على ادراك ما ينوبني من المرأة • اذ ليس في الرجل من ميل دنيء لا يستمده من المرأة بكل تأكيد • هل تعلمّم الكيد والنفاق الا من المرأة ؟ والمداهنة الا منها ، والجحود الا منها ايضا ، والدعارة والبذاءة الا منها هي ، والحقد والتشامخ والطمع والانجراف في سبيل الاهــواء الفاسدة ، والازدراء والحسد والنميمة والتقلّب وكافــة النقائص والعيوب الظاهرة والمستترة التي يوسوس بهــا ابليس لم يتعلمها الا منها لانها لا تصدر دائما الا عنهــا بأجمعها او معظمها ، لا بل كلها بدون استثناء ولا أدنــى ريب • في الواقع ليس من امرأة تصمد امام الاغــــراء والاستدراج • سأبادر الى التنديد بها ، سأكرههــــا وألعنها • لا ، لا ، ان التفنّن في المقت يجب ان يستبدل

بالصلاة ، لكي لا تسيطر عليها اشواقها المنحطة ، وحينذاك لا يتسنى للشيطان ان يسومها عذابا أشد وطأة وايلاما.

(يخرج) .

الفصل الثالث

المشهد الاول

في القاعة الكبرى من قصر ملوك بريطانيا

(يدخل سمبلين ومعه الملكة وكاوتن ومرافقون من باب ،
ثم يدخل لوسيوس وحاشيته من باب آخر)

سمبلين : تكلم الان . ماذا يريد مني أغسطس قيصر ؟

لوسيوس : عندما بات يوليوس قيصر ، الذي لا يزال ذكره حيا في أعين الناس ، تقليدا خالدا على الالسنة وفي الاسماع ، جاء الى هذه البلاد واستولى عليها عمه كاسيبالان ، وقد أشاد قيصر بالثناء عليه والافتخار بمنجزاته المجيدة، فتعهّد هو وخلفاؤه بأن يدفعوا لروما جزية سنوية مقدارها ثلاثة

آلاف كيس من المال لم تسددها انت في هذه الايام •

الملكة : ولن تسدد ابدا للقضاء على الاطماع المستقبلة •

كلوتن : سيتربع على العرش عدة قياصرة قبل ان يولئي يوليـــوس قيصر جديد جدير • لان بريطانيا وحدها عالم قائم بذاته• ونحن الان غير مستعدين لدفع أي مبلغ بغية المحافظة على حقوق تنقلاتنا •

الملكة : ان الظروف التي ساعدت الرومان في الماضي على اخـــذ أموالنا تساعدنا بدورنا على استردادها الان منهم• تذكّر، يا صاحب الجلالة، في ذات الوقت اجدادك الملوك الاشداء، والعقبات الطبيعية التي تحفل بها جزيرتك ، وهي كحديقة نبتون المليئة بالحواجز الصخرية الصعبة التسلق والامواج الهائجة والشواطيء الرملية التي تصدّع مراكب اعدائك حتى أعالي أشرعتها بدلا من ان تساندها • هنا أحرز قيصر فوزا باهرا بفتحه هذه البلاد ، لكنه لم يفاخر قط بأنه اتى ورأى وانتصر • لان كارثته الاولى التي حلت به أقصته عن سواحلنا ، فانكسر مرتين ، وتحطمت سفنه كلعب هزيلة تقاذفتها جبال أمواجنا المتلاطمة وهشمتها كقشور البيض على نواتيء صخورنا • واذا بالمغفل كاسيبالان ، وهو على وشك استعباد سيف قيصر ، يستمتع باذكاء نار الحماس في مدينة «لود» ويستنهض همم البريطانيين •

وتن : هيا بنا • لم يعد من موجب لدفع الجزية ، لان مملكتنـــا

صارت اقوى مما كانت عليه في اي زمان مضى . وكما
قلت الك لم يبقَ لقيصر من هيبة تفرضه على العالم كنسر
معقوف الانف ، لان ذراعه لم تعد صلبة .

سمبلين : دع أمك يا ابني تنهي حديثها .

كلوتن : لا يزال بيننا عدد كبير من ذوي القبضات القوية نظـير
كاسيبالان ، ولست أدّعي انني منهم ، انما انا ايضا لـي
ذراع ، فكيف ولماذا تدفع الجزية ؟ اذا كان قيصر قادرا
على حجب الشمس عنا وراء ستار ، او على اخفاء القمر في
جيبه سندفع له الجزية لنحظى بالنور ، وإلا ارجوك ان
تكف عن ذكر هذه الجزية .

سمبلين : لا بد لك من ان تعلم اننا قبل ان يفرض علينا الرومـان
الطغاة جزيتهم كنا احرارا ، وان عنجهية قيصر الذي يطمع
في امتلاك أقطار الدنيا فرضت علينـا هذا النير ظلما .
فانتفاضة الخلاص من الاستبداد واجبـة على كل شعب
مناضل، كما ندّعي ذلك. ولنقل هنا لقيصر ان ملموسيوس
كان احد أسلافنا ، وهو الذي سنّ شرائعنا وتقاليدنـا
التي حاول سيف قيصر ان يقطع أوصالها. ان كفاحنا المنقذ
سيكون السلطان الذي نتمسك به مهما كان غضب روما
هائلا . أجل لقد وضع ملموسيوس شرائعنا وهو اول مر
كلّل رأسه بتاج من الذهب ونصّب نفسه ملكا .

لوسيوس : انا مستاء ، يا سمبلين ، من اعلانك ان لقيصر الذي اخضع

عددا كبيرا من الملوك يتسابقون الى خدمته ، اكثر مما في جيشك من ضباط ، وان يوليوس قيصر هو عـــدوك اللدود . فاعلم اني باسم قيصر أشهر عليـــك الحرب ، وسأنزل بك الذل والدمار . لان ثورة لا تقاوم تنتظرك ، بعد هذا التحدي وكل ما بدر منك نحوي شخصيا .

سمبلين : اهلا بك يا لوسيوس . لقد جعل قيصر منـــي فارسا ، فقضيت معظم اوقات شبابي تحت امرته . وهو الـــذي شرّفني بثقته الغالية ، يحاول اليوم تجريدي من سلطتي، ويضطرني الى الاستماتة في الدفاع عن بلادي وعـــن عرشي . لقد أكد لي البعض ان اهالي مناطق بانـــون ودلماسيا قد لجأوا الى السلاح لاسترداد حريتهم . فلكي لا نتلقى درسا مماثلا، علينا نحن البريطانيين ان لا نظل مكتوفي الايدي ، وأؤكد لك ان قيصر لن يجدنا مطلقا هكذا .

لوسيوس : هل افهم ان وعيكم يتكلم الان ؟

كلوتن : لقد صرح جلالة الملك بأنه يرحب بك . فامكث معنا راضيا مدة يوم او يومين او اكثر . واذا اتيت فيما بعد لرؤيتنا بمقصد آخر ستجدنا معتصمين ضمن حزامنا المؤلف من مياه البحر المالحة . فان تغلبت علينا انتقلت ملكية هـــذه المياه اليك ، لكن ان قضيت نحبك اثناء المغامرة ، سيصبح جيشك وليمة فاخرة لغرباننا وينتهي الامر .

لوسيوس : انت قلت ، يا مولاي •
سمبلين : انا اعرف ما يبهج السيد ، أما هو فلا يجهل ما يفرحني• ومع ذلك أرحب بك •

المشهد الثاني

في القصر

(يدخل بيزانيو وفي يده رسالة)

بيزانيو : ما الامر ؟ هل هناك خيانة زوجية ؟ ولماذا تسميني الغول الجاني الذي يشكو منه سيدي بستيموس ؟ اني أتساءل عما بلغ سمعك من أخبار مشؤومة ؟ ومن هو الايطالي المتهوّر الذي ينفث سمومه فيما بيننا ، وقد استغل بمنتهى السهولة استعدادك لتصديقه ؟ هل هي أمنية لا غير ؟ كلا ، ثم كلا • انا واثق بأن هذا الاغتياب قد مرّغها في الوحل بسبب أمانتها ، مع انها صدّت نظير إلهة فوق مستوى البشر لا بصفتها امرأة ، جميع الهجمات الشهوانية التي شنها عليها والتي تحطم أمتن الفضائل • آه ، يا سيدي ! ها انت اصبحت أضعف منها نفسيا وأقل ايمانا بما كنت

عليه في الماضي. كيف تريدني ان اقتله باسم المودة والامانه
وقد اقسمت لك يمين الاخلاص يوم قبلتني في خدمتك ؟
انا افديها بدمي . ان كنت تعتبر ذلك خدمة ، ولن يجرؤ
احد على اتهامي بالتقصير ، وأكون في نظر الجميع قد أديت
واجبي الانساني كاملا نحوها ونحوك ايضا . لقد امرتني
بأن اقتلها ، والرسالة التي وجّهتها اليها تحرضني على
التصرف حسبما تأمرني به سيدتي . فتباً لك ايتها الورقة
الملعونة . السوداء كالحبر الذي يغطي صفحتك ، اينها
الورقة العديمة الاحساس ، هل يسعك ان تكوني شريكة
في سلوك دنيء كهذا ولا تحافظي على نصوع بياضك
الاصيل ؟ ها هي سيدتي قادمة . (تدخل ايسوجان) انا لا
افهم شيئا من الاوامر المطلوب مني تنفيذها .

ايسوجان : ما الخبر ، يا بيزانيو ؟

بيزانيو (يسلمها ورقة) : سيدتي هذه رسالة لك من مولاي .

ايسوجان : ممن ؟ من مولاك ؟ بل هي من مولاي انا ، من عزيزي
بستيموس . انه استاذ ضليع في علم الفلك ويعرف لغة
النجوم كما اعرف انا خط يده . وهو يتنبأ بالمستقبل كمن
يقرأ في كتاب مفتوح . ايتها الآلهة ارضي عني واجعلي
محتوى هذه الرسالة تطمئنني عن مولاي وحبيبي الذي
ارجو ان يكون متمتعا بصحة جيدة وقانعا بنصيبه مما
يعانيه بسبب فراقي من آلام ، بعضها يقوّي أواصر الحب

ويفضي الى الخلاص وهذه منها ، وراضيا بكل ما قسم له ، ما عدا هذا البعاد المرير • استأذنك ايها الختم الشمعي • (تفض الرسالة) • مبارك انت ايها النحل صانع مادة هذا الختم العزيز • ان العشاق وموقعي عرائض الاحتجاج لا يتمنون لك هذا المصير . لانك ترسل المدينين الى السجون كما تكتم رسائل الغرام المغلقة • ارجو ايتها الآلهة ان تكون الاخبار سارة • (تقرأ) : «ان عدالة ابيك وغضبته اذا فاجأتني في هذه الاحوال لا تخيفني حدتها ما دمت انت قادرة ، يا أعز مخلوق لدي" ، على احيائي بنظرة من عينيك • اعلمي اني مقيم في ملفورد هافن في ضواحي مدينة كمبري • فتصرفي بما يوحيه اليك حبك واخلاصك لي . وسعادتك نؤكد لك بأني سأظل امينا على عهدك وتعلقي بك يزداد باستمرار » •

بستيموس

يا له من مخلوق عظيم ! هل تسمع يا بيزانيو ؟ هو موجود في ميلفورد هافن • قل لي ما هي المسافة التي تفصلنا عنه؟ فاذا كان الانسان لاسباب تافهة يستطيع ان يقطعها متمهلا في مدة اسبوع ، لماذا لا اجتازها انا وأطير الى هناك في يوم واحد ؟ هيا يا بيزانيو الامين ، انت تتوق مثلي الى مشاهدة سيدك • انت لا تبالغ في تقدير الامور نظيري

لكنك مشتاق بكل جوارحك الى ذلك ، ولو أقل مني لان
حماستي تتعدى كل الحدود . هيا اجب ، تكلم بسرعة.
على مستشار الحب ان يواصل حديثه بدون انقطاع حتى
ترتوي الأذن من سماعه . ما هي المسافة الى ملفورد ؟
ستخبرني اثناء الطريق ، مَن أمَّن لبلاد غاليا مصيرا أسعد
من هذا ؟ ولكن كيف السبيل للرحيل من هنا ؟ وبأية حجة
أتذرع لتبرير غيابي ذهابا وايابا ؟ قبل كل شيء كيف
الخروج من هنا ؟ وإلا ما نفع البحث واستنباط الحيل ؟
سنتكلم عن ذلك فيما بعد . ارجوك ان تعلمني ، كم من
الاميال يمكننا ان نقطع على متن الحصان من ساعة
الى اخرى ؟

بيزانيو : عشرين ميلا بين طلوع شمسين يا سيدتي ، وهذا يكفينا ،
بل يزيد .

ايسوجان : ماذا تقول يا بيزانيو ؟ ان رجلا يسير الى اعدامه لا يمشي
بمثل هذا البطء . لقد بلغني ان رحلات تمت على ظهر
الخيل بموجب رهان ، كانت اسرع من حبات الرمل
المتدحرجة في بطن الساعة الرملية . هذا طبعا من قبيل
المزاح . اذهب وقل لوصيفتي ان تتصنّع المرض وتدّعي
بأنها تريد العودة الى والدها ، ثم استحصل لي على
ثياب للسفر في زيّ خادم لدى وجيه قروي ، ولا تساوم
بالسعر .

بيزانيو : الافضل لك يا سيدتي ، ان تفكري مليا في الامر قبل ان تقدمي عليه •

ايموجان : امامي الان ارى صديقي الوحيد ، وما عداه يمينا ويسارا والى الوراء لا ابصر الا ضبابا كثيفا مضللا• فأرجوك ان تعجل في السعي للرحيل • نفّذ ما آمرك به ، اذ لا مجال لأي قول آخر • وليس من طريق سالك غير الذي يؤدي الى ميلفورد •

(يخرجان)

المشهد الثالث

منطقة جبلية في بلاد غاليا •

في صدر المسرح كهف لا يظهر منه سوى مدخله ، وفي احدى الزوايا قبر •

(يأتي بيلاريوس وغيداريوس وافيراكوس الى المسرح الواحد تلو الآخر من مدخل الكهف)

بيلاريوس (وهو لا يزال في الكهف) : هذا يوم رائع ، يجمل بنا ان نقضيه خارج مسكن سقفه قليل الارتفاع كهذا • احنوا

رؤوسكم يا اولادي ، فهذا الباب يعوّدكم السجود للسماء
ويدعكم تجثون للصلاة كل صباح . فلأبواب الملـــوك
قناطر عالية يستطيع العمالقة فقط اجتيازها وقامتهم منتصبة
وقبعتهم على رأسهم بدون ان ينحنوا للسلام على الشمس
المشرقة . (وقوفا خارج الكهف) نحييك ايتها الســـاء
الصافية . نحن وان عشنا في قلب الصخر ، نحترمـــك
بإجلال اكثر ممن يحيون في المدينة .

غيداريوس : أحييك ايها الفلك العظيم المترامي الاطراف .

ارفيراكوس : أحييك ايها الفضاء الرحب رمز الانعتاق .

بيلاريوس : والآن الى ممارساتنا الجبلية ، الى الاعالي يا اصحـــاب
الارجل الفتية . اما انا فسأمشي في هذا السهل على مهل .
لاحظوا جيدا ، عندما ترونني من فوق صغيرا بحجـــم
العصفور ، ان المكان هو الذي يصغّـــر الانسان او
يكبّره ، حينئذ يمكنكم ان تفكروا بما رويته لكم مـــن
أخبار الامراء وانحرافاتهم ودسائسهم في البلاط . حيث
الخدمة لم تعد واجبا مقدسا بل وهماً مموّهاً بمظاهـــر
الحقيقة . وهذا الاقتناع يعلّمنا ان نستخلص العبرة من
كل ما يقع نظرنا عليه . فغالبا ما ، لارضاء غرورنا ، نرى
الخنفساء الحقيرة الهزيلة في مأمن من النسر القوي الجناح،
بينما في عالمنا الباطن لا يزال النبل ارفع من توســـل
الوضاعة ، وعلوّ الاخلاق أجدى من حياة الخنوع الذي

يفرض استيفاء الاجر بدون أي عناء ، والترفع عن الدنايا
أجلّ من الاختيال بلبس الحرير بدون دفع أدنى ثمن •
كثيرون يحبيهم من يخلع عليهم الجدارة بغير استحقـــاق
فيظلون من اهل الحقارة الى الابد ، وهذا أسلوب عيش
مزيف بعيد عن بساطة حياتنا الوادعة الهنيئة •

غيداريوس : انت تتكلم عن خبرة • أما نحن المساكين الذين لا جناح لنا،
فلا نطير الى اقصى من مجال عشنا ، ولا ندري أية رياح
تهبّ بعيدا عن مسكننا • ربما كانت هذه الحياة القانعة
أسعد ما في الوجود ؛ اذا اعتبرت العيش الهادىء فردوسا
ارضيا بالنسبة اليك بعدما عانيت من الاهوال في فترة من
مراحل عمرك ، فلاءمت عمرك الآخذ في العتو • اما نحن
فلا نجد فيها اكثر من زريبة يهيمن عليها الجهل ؛ ورحلة لا
تتجاوز حدود الطريق ، بل سجنا لكل منا كأنه مدين لا
يجسر على تخطي باب بيته خوفا من الالتقاء بدائنـــــه
اللجوج •

ارفيراكوس : بماذا ترانا نستطيع ان نتحدث عندما تدركنا الشيخوخـــة
مثلك ؟ عندما نسمع المطر والريح ينقضّان علينا في معظم
ايام فصل الشتاء ونكون محجوزين في كهفنا • فبمــاذا
نتسلى طوال اوقات الجليد ؟ نحن نكاد لا نبصر مـــن
دنيانا شيئا كأننا بهائم محجور علينا ؛ نــــراوغ كالثعلب
ليتسنى لنا ان نتنقل من مكان الى آخر ، نقاتل كالذئب

لنسد جوعنا ، ونحصر دهاءنا في التقاط أنفاسنا لعلنا
نوسّع قفصنا الضيق وفي داخله عصفور سجين يتغنى
بعبوديتنا ويوهمنا بأننا احرار •

بيلاريوس : ما هذا الكلام ؟ ليتكم عرفتم ما في المدينة من مهالك، خبرتها
انا بنفسي ، وما في البلاط من دسائس ومؤامرات يحاول
بواسطتها من يتسنّم القمة ان يستمر في الاحتفاظ
بمكانته ، لان الصعود لا بد من ان يعقبه السقوط من
العلو المشرف على الانحدار المدوّخ المرهق نظيره • ليتكم
عرفتم هموم مهنة الحرب حيث يسعى الرجل الى الاخطار
تحت ستار الشرف والمجد • وحيث ان مات وهو لا يزال
جادّاً وراء مبتغاه ، غالبا ما يجازى باللوم بدل الشكر ،
وأحيانا يعاقب على ما اتاه من خير ، والأنكى ان يضطر
الى الخضوع للمراقبة المتواصلة • يا اولادي هذه القصة
يستطيع العالم ان يطالعها في سيرتي • ان جسمي النحيل
يحمل آثار طعنات سيوف الرومان • كانت سمعتي متألقة
في ما مضى ، وكان الملك سمبلين يحبني • وعندما يأتي
على ذكر الجندي الباسل ، لم يكن اسمي مستبعدا • كنت
شجرة وارفة الظلال مثقلة بأشهى الثمار • لكن ذات ليلة
هبّت العواصف عليّ وانقضّت الظلمات ، سمّوها ما
شئتم ، فسقطت عن كاهلي الى الارض جبتي المذهبة
وأصبحت عريانا ، وعرضة لعوادي الزمان •

غيداريوس : ما اقسى تقلبات الايام ٠

بيلاريوس : ذنبي الوحيد ، كما قلت لكم مرارا ، هو شهادة زور وتهمة باطلة ألصقها بي وغدان حقيران ، سببت لي فقدان التقدير في عيني سمبلين الذي حجب عني ما أولاني من ثقة ، اذ ادعيا امامه بأني حليف الرومان ٠ فأبعدني ، ومنذ عشرين عاما أضحت وحدتي بين هذه الصخور كل دنياي ٠ فعشت في ظلها حرا شريفا ، ورفعت الى السماء صلوات تفوق كل ما قمت به طوال حياتي الماضية ٠ هيا بنا نرجع بسرعة الى جبلنا ، لان حديثنا ليس خرافة صيادين ، اول من يصيب منهم الطريدة يمسى سيد العيد ويدين له الاثنان الآخران بالولاء ٠ وهكذا لن يخشى الاذى الذي لا يخلو منه مجتمع مهما سما ٠ سألحق بكم الى الوديان ٠

(يذهب غيداريوس وارفيراكوس)

بيلاريوس (وحده) : كم يصعب على المرء ان يطفىء شعلة الطبيعة المضيئة ٠ فهذان الولدان يجهلان انهما ابنا الملك ووالدهما سمبلين لا يعلم انهما على قيد الحياة ٠ هما يظنان انهما ولداي ، وان ربيا على هذه الصورة المتواضعة في كهف ينحنيان عند بابه ليدخلاه ٠ فان افكارهما تناطح سقوف القصور العالية ، وهما يستوحيان الطبيعة في أبسط الامور وأكثرها تعقيدا ، وهذا بالذات ما يدل على

كرم محتدهما الملكي الذي يتعدى مظاهر غيرهما . ها هوذا بوليدور وريث العاهل سمبلين على عرش بريطانيا ، وكان ابوه يدعوه غيداريوس . بحق السماء عندما أجلس على مقعدي وأروي وقائع حروبي ألاحظ كأن خياله يرفرف حول رأسي . واذا ذكرت ان عدوّي سقط هكذا مجندلا على الارض واني وطئت عنقه بقدمي ، يصعد حالا دمه النبيل الى وجنتيه ، ويتصبب العرق من جبينه ، وتتوتر أعصابه ويروح يتابع وصفي بانتباه وإباء . اما اخوه الاصغر كلدوال وكان يدعى سابقا ارفيراكوس ، فهو ذو خلق مماثل ، بل يفوق اخاه حيوية مقرونة بتفكير ثاقب وبعد نظر . اسمعوا لقد سقطت طريدة . ما أشبهه بك يا سمبلين ! ان ضميري والسماء يشهدان بأنك ظلمتني اذ نفيتني . لذلك خطفت لك ابنيك في سن دون الثالثة من العمر بغية حرمانك من وريث لقاء اغتصابك مني أرزاقي . وأنتِ يا أرفيل كنت مرضعتهما فجعلاك في مقام والدتهما ، وأثر وفاتك ذهبا كل يوم لتكريم ضريحك . وأنا بيلاريوس بالرغم من استبدالي اسمي بمورغن ، يعتقدان بأني ابوهما . (يسمع صوت بوق بعيد) ها قد سقطت طريدة اخرى . (يذهب) .

المشهد الرابع

في ضواحي ميلفورد هافن

(يدخل بيزانيو وتتبعه ايموجان)

ايموجان : لقد قلت لي عندما ترجلنا عن ظهر الحصان ان المكان يتسع لاثنين • ولم تكن أمي تصبو الى مشاهدتي اول مرة كما كنت انا اتوق الى الوصول الى هنا • عزيزي بيزانيو ، اين بستيموس ؟ مالي اراك حائر النظرات ؟ لماذا هذا التنهد المتصاعد من أعماق صدرك ؟ ان مظهرك هذا يجسد ما يتلاطم في رأسك من قلق قاتل ، يرتسم على ملامحك الكئيبة الوجلة قبل ان يستولي الضياع على ذهني المرهق• ماذا جرى ؟ لماذا تقدم لي هذه الورقة وعيونك تائهة ؟ ان كنت تبشرني بالخير فصرح لي به مبتسما ، وان كنت تنذرني بالشر فما عليك الا ان تحتفظ بمحياك الحزين • (تفتح الورقة التي سلمها اياها بيزانيو) الكتابة بخط زوجي • فهل سلبته عقله ايطالية ساحرة لعينة وضيّقت عليه حرج موقفه • تكلم يا صديقي • لان كلامك يخفف عني وطأة الضربة التي ربما جعلتها هذه الرسالة قاضية عليّ •

بيزانيو : تفضلي اقرإي ، فتجدي فيّ ، انا الخادم المسكين ، رجلا أذله سوء الطالع •

ايموجان (تقرأ) : ان سيدتك ، يا بيزانيو ، قد استسلمت الى سواي في سريري ، ولديّ شهادات تدمي قلبي • انا لا أتكلم عن افتراضات وهمية بل عن وقائع واثباتات دامغة لا ينطرق الشك اليها نظير الانتقام الذي أتحيّنه وأود تنفيذه في هذه المهمة • فعليك يا بيزانيو ان تقوم مقامي ، اذا لم يخامرك نكس العهود • انتزع روحها من صدرها بيديك القويتين ، وأنا مستعد لان أتيح لك الفرصة لذلك في ميلفورد هافن حيث تجتذبها رسالتي حتما • وهناك اذا لم تقضِ عليها ، اذا لم تؤكد لي تحقيق أمنيتي هذه ، تكون شريكها في العار وخائنا مثلها •

بيزانيو : ما حاجتي الى استخدام الحسام ؟ فهذه الورقة ستسبب ذبحها من الوريد الى الوريد • كلا ، ان ما يقتلها هو سم الاغتياب السريع المفعول والقاطع اكثر من حد السيف • واللسان الجارح افظع من جميع تماسيح النيل ، وأعتى من الرياح التي تدهور الفارس وهو على صهوة جواده ، لانه يرشق بالنذالة جميع من في العالم من ملوك ودول وملكات وعذارى وقوادات ، حتى يدفن الاسرار في أعماق القبور حيث تتسلل أفعى النميمة الرقطاء • فما رأيك يا سيدتي؟

ايموجان : أأنا غير امينة لا أحافظ على طهارة سريره في حظيرة زواجنا

المقدس ؟ ما معنى الخيانة ؟ هل هي التمدد ساهدة بدون ان يعرف النوم الى عيني سبيلا ، وأنا أفكر فيه ، وأن ابكي الساعات الطويلة حسرة على فراقه ؟ او مهما قلّ رقادي بعد السهر المضطرب ان يتخلله حلم يهيمن فيه الخوف على مصيره البائس ، وأن أستيقظ على صوتي المخنوق من شدة الرعب ؟ هل هذا يعني خيانة ما عاهدته عليه من العفة ؟ اجبني يا بيزانيو .

بيزانيو : وا أسفاه ، يا سيدتي النبيلة !

ايسوجان : أأنا خائنة ؟ اني أحتكم الى ضميرك ، يا ياشيمو . عندما اتهمتك بقلة الحياء ، كنت في نظري نذلا حقيرا . اما الان وقد تبدل موقفك فتبدو لي شريفا . اذ لا بد من ان تكون هناك ايطالية متهتكة قد أغوته بتبرّجها وغنجها ، لاني انا المسكينة التعيسة لست الان سوى ثوب عتيق عفا عليه الزمن ، لا يساوي شروى نقير ، ولا بد من رميه مع النفايات . ان تنكر الرجل لوعوده هو الذي يدفع المرأة الى الخيانة ، وأكثر مظاهر الفضيلة بعد الخيانة ، يا زوجي العزيز . ستتراءى خدّاعة كاذبة وغير طبيعية ، لانها ترتدي ملابس الامانة لاصطياد المحبين .

بيزانيو : ارجوك ان تنصتي اليّ يا سيدتي الكريمة .

ايسوجان : بعد خساسة بعض ضعاف النفوس اصبح معظم الرجال الصادقين حقا متهمين بالدناءة ، وبكاء المراوغين قد حط

من كرامة الدموع الطاهرة الوفية ومرّغ في الوحل أرق
مشاعر الشفقة • كذلك انت يا بستيسوس لوثت بانحطاطك
أطهر الناس ، وحسبت الامناء والشجعان كأنهم أنذال على
غرارك ، لا يتورعون عن ارتكاب مثل جريرتك الفظيعة •
هيا يا بيزانيو ، لا تحد عن أمانتك ونفّذ ما أوصاك به
سيدك • فعندما تراه تبدو على الاقل عادلا في اطاعتي
والخضوع لمشيئتي • (تجرّد سيف بيزانيو من غمده
وتناوله اياه) • انظر ، ها انا بيدي أمتشق حسامك ،
فتناوله واغمده في صدري مستودع حبي النقي • لا
تخشَ لوما ، فقلبي خال من أي احساس غير العذاب ،
وسيدك لم يعد ساكنا فيه ، مع انه كان حقا كنزي الوحيد
الغالي • افعل ما طلبه منك : أطعني • لقد عهدتك دوما
باسلا في كل المجالات ، فما بالك الان تبدو جبانا ؟

بيزانيو (يرمي بالسيف الى الارض) : اليك عني ايها الحد الخبيث • لن
تكون يوما سبب هلاكي •

ايموجان : ما هذا التردد ؟ يتحتم عليّ ان اموت ، وإن لم تنفذ انت هذا
الحكم ، تكون قد عصيت اوامر سيدك • ان الشريعة
الالهية التي تحرّم الانتحار تشل يدي وتمنعني عن
الاقدام عليه • هيا ، هذا قلبي ، فخلصني مما أحس بثقل
خانق يجثم على صدري • (تفك أزرار صدر ثوبها وتسحب
اوراقا) انتظر لحظة ، انتظر • انا ارفض كل حماية ، لان

طاعتي تعادل خضوعك • ماذا ارى ؟ رسائــــل بستيموس
المتستر بالامانة ؟ لكن ، كم وكم من الكتابات لا تحوي
سوى الكفر والدجل • اليكِ عني يا مفسدة تصميمي •
لن تكوني ابدا بعد الان درعا يقي فؤادي • ربما خدع
الانبياء الكذبة بعض المغفلين المساكين ، لكن مهما عانى
الانسان من ظلم الخيانة لا بد من ان يعاقب الخائن بعذاب
أشد ايلاما • (تمزق الاوراق وتلقيها في الهواء) • وأنت
يا بستيموس ، انت الذي حملتني على عصيان ابي الملك
الذي كره اليّ احترام الامراء امثالك ستكتشف فيما بعد
ان الامر لم يكن مناسبة مبتذلة بل تضحية نادرة • وأنــا
اتألم عندما افكر بأن لهفتك قد بردت حيال من يعذب هواك
مهجتها ، وان ذكراي لا بد من ان تهيج يوما اشجانك •
أستحلفك يا بيزانيو ان تعجل في انجاز مهمتك ، فها انا
كالحمل الذي يتوسل الى جلاده • اين سكينك ؟ اراك
تتباطأ في تتميم ما اوصاك به سيدك ، لاسيما اني انا ايضا
بت اتوق الى هذه النهاية المريحة •

بيزانيو : سيدتي الكريمة ، منذ ان تلقيت امر تنفيذ هذه المهمــــة
البشعة لم تعرف عيناي سبيلا الى الرقاد لحظة واحدة •

ايسوجان : نفّذ واذهب الى النوم •

بيزانيو : لا بد للسهاد من ان يرهق عيني كي انام •

ايسوجان : لماذا قبلت المهمة اذاً ؟ لماذا ضللتني بحججك الفاسدة ؟ ما

الغاية من وجودنا هنا ؟ لماذا تعبك وتعبي وتعب خيولنا في المجيء الى هذا المكان ؟ ان الواجب يناديك والفرصة سانحة ، وأنا قلقة جدا بسبب غيابي عن البلاط الذي لا انوي العودة اليه . لماذا أوصلتني الى هنا ، اذا كنت مزمعا ان ترخي القوس المشدود المصوّب اليّ انا الضحية الماثلة امامك باذعان ؟

بيزانيو : اني أماطل لأربح بعض الوقت وأتملص من هذه الفعلة الشنيعة . لذلك اختلقت ذريعة منقذة ، فاستمعي الي يا سيدتي العزيزة بصبر وحلم .

ايموجان : تكلم حتى يكلّ لسانك ، لكن تكلم . لقد بلغني اني متهمة بالدعارة . واذ مزّق أذني هذا التزوير الدنيء لم اعد أبالي ، لاني لا أعتقد بوجود جرح اعمق من هذه التهمة الباطلة ، يستطيع بلسم على وجه الارض ان يشفيه . تكلم اذاً .

بيزانيو : لقد افترضتُ يا سيدتي انك لن ترجعي بعد الان الى البلاط .

ايموجان : هذا في الظاهر ، لاسيما انك جئت بي الى هنا لكي تقتلني.

بيزانيو : كلا ، ثم كلا . لو كنت ذكيا بقدر ما انا شريف وأمين لتحتم عليّ ان أتمم مشروعي كما يرغب سيدي قرينك الذي انقاد الى الالسنة الشريرة . هناك شخص سافل بارع المكيدة قد دبّر لكما معا هذه الورطة الجهنمية .

ايموجان : طبعا هناك عاهرة رومانية .

بيزانيو : لا ، لا . بحياتي . صدقيني اني سأوهمه فقط بأنك متِّ ، وسأرسل اليه دليلا مضرّجا بالدم حسب امره ، وغيابك الطويل عن البلاط يثبت ادعائي .

ايموجان : لكن يا صديقي ، ماذا اصنع انا في هذه الاثناء ؟ اين أمكث؟ كيف اعيش ؟ ومن يساعدني على تذليل مصاعب هـذه الحياة الشاقة عندما اكون قد متّ في نظر زوجي ؟

بيزانيو : واذا عدتِ الى البلاط ؟

ايموجان : لا لم يبقَ لي من بـــلاط ، ولا من اب ، ولا من كابوس جهنمي يفرضه عليّ وجود هذا النبيل الخبيث كلوتن الذي ضيّق عليّ الخناق حتى كدت اجدني في حصار مزمن .

بيزانيو : اذا لم تعودي الى البلاط وجب عليك ان لا تبقي فـــي بريطانيا .

ايموجان : الى اين أرحل ؟ هل تشرق الشمس على بريطانيا فقط ؟ أولاً يتوالى النهار والليل الا في بريطانيا ؟ ان بلادنا جزء من هذا العالم الواسع ، ولست انا كل ما فيه ، لا بل هي عش عصفور صغير مثلي وسط مستنقع فسيح . ثم لا تنسَ ان عددا لا يحصى من الاحياء ، يعيش خارج بريطانيا .

بيزانيو : انا مسرور لانك تفكرين في العيش بعيدا عن هذا المكان. سيصل السفير الروماني لوسيوس غدا الى ملفورد هافن. فاذا ظلت هواجسك تضايقك بسبب حظـك العاثر ، اذا

عرفت كيف تكتمين ما لا يمكن البوح به بدون اثـــارة الشكوك والمخاطر حولك ، تشقين لنفسك طريقا سريـا حافلا بالآمال المؤنسة . وربما وصلت الى جوار بستيموس او على الاقل الى اقرب نقطة من مكان وجوده • واذا لم تهتدي اليه فان صوتا امينا سيرشدك باستمرار للتعرف اليه على الوجه الانسب •

ايموجان : اسألك ان تبيّن لي وسيلتك • فان لم تشكل على حياتـي خطرا يؤدي الى هلاكي غامرت باتباعها •

بيزانيو : هنا تكمن الصعوبة • عليكِ ان تنسي انك امرأة ، وأن تطرحي عنك عبء الحيرة وتلوذي بالاذعان وتتحاشـــي الوجوم الخجول الذي يستولي علـــى النساء عامة او بالحري على لطافة المرأة ، وأن تعتصمي بالشجاعـــــة والاقدام • عليك ان تتأهبي دائما لردات الفعل كي تدفعي الضيم عنك وأن تتيقظي بدهاء كالثعلب حتى لا تتردّي في المغامرة بعفتك ، وتتغلبي على قساوة التجربة ، اذ ليس من السهل تحاشي السقوط امام جرأة القبلات ، وتجنّب الانسياق في سيل المغريات الطاغية التي تثير الغـــــيرة والحسد •

ايموجان : هيا اختصر • انا أستشف قصدك ، وأكاد اشعر بأني صرت رجـلا •

بيزانيو : باشري في تلبّس هذا الوضع الجديد • وبما اني توقعت

منك القبول استحضرت لك في حقيبتي ملابس أرجوانية وقبعة وجزمة ، أي هندام رجل بكامله • فارتديه ان شئت يا سيدتي ، ثم قلّدي مظهر شاب في عمرك ، واذهبي الى النبيل اوسيوس ، واطلبي منه ان يقبلـــكِ في خدمته • عدّدي له مواهبك ، فسرعان ما يقدرها ، اذا كانت أذنه صاغية • وأنا واثق بأنه سيرحب بك مبتهجا لانه كريـــم فاضل • هل يعوزك مال ؟ انا مستعد لان اعطيك كل ما املك وأتعهد بأن أؤمّن لك كل ما تحتاجين اليه حاضرا ومستقبلا •

ايموجان : انت السيد الوحيد الذي تركته لي السماء كي ينجدني في حياتي • ارجوك ان تذهب • فهناك لا تزال مسائل عديدة تنتظر الدرس • لكننا سنستفيد من الظروف على قـــدر الامكان • ولقد اعتدت هذه التجربة التي أواجهها بشجاعة نادرة • ارجوك ان تذهب حالا •

بيزانيو : حسنا يا سيدتي • لنختصر الوداع خشية ان يلاحظ غيابك، وان تحوم حولي الظنون بأنني ساعدتك على الهرب من البلاط • سيدتي النبيلة ، هذا حنجور اعطتني اياه الملكة، وقالت لي ان محتواه دواء سريع المفعول • فاذا شعرت بدوار وأنت في البحر ، وأحسست وأنت علـــى الارض بوجع في معدتك تكفيك نقطة واحدة منه لازالة آلامك • (يسلمها ثياب الرجل) ابحثي عن مخبأ وتزيّي بهنـــدام

الرجال . اني ألتمس من الآلهة ان تسدد خطواتك في
طريق النجاح .
ايموجان : آمين ، ثم آمين . اشكرك جزيل الشكر . (يفترقان)

المشهد الخامس

امام باب قصر ملوك بريطانيا

(يدخل سمبلين ومعه الملكة ثم كلوتن ولوسيوس وبعض الوجهاء)

سمبلين : هنا ، اقول لكم الوداع .
لوسيوس : اشكرك يا مولاي ؛ لقد كتب لي امبراطوري يستدعيني ، وعليّ ان أرحل . انما يؤسفني ان لا أعتبرك صديقا مخلصا .
سمبلين : ان مواطنيّ يا مولاي ، يأبون حمل نير مليكك . وأنا ان لم أسايرهم رموني بالتقصير .
لوسيوس : وبناء على ذلك ، اسألك يا مولاي ان تضع تحت تصرفي حراسا يرافقونني حتى ملفورد هافن . (للملكة) لتحلّ على جلالتكِ جميع البركات . (للملك) وعليك ايضا يا صاحب الجلالة .

سمبلين (للوجهاء) : ارجوكم يا سادتي ، ان تمشوا في الموكب وتقدموا للقائد ما يستحقه من الحفاوة ومراسم التشريفات . الوداع ايها النبيل لوسيوس .

لوسيوس (لكلوتن) : هات يدك يا مولاي .

كلوتن : ها هي تمتد اليك كصديق . غير اني ، في المستقبل ، اخشى ان تمتد اليك كخصم .

لوسيوس : مولاي ، لا بد للاحداث من ان تناصر الظافر . الوداع .

سمبلين : سادتي الكرام ، لا تتركوا الوجيه لوسيوس وتعودوا قبل ان يجتاز مدينة «سافرن» . (للوسيوس) : أتمنى لــــك التوفيق . (يخرج لوسيوس والوجهاء) .

الملكة (على حدة) : هذا اللئيم يرحل من هنا ، وشرف الضيافة يحتم علينا ان نساعده على الابتعاد عن ديارنا بأمان .

كلوتن : من حسن الحظ ، هذا ما يطلبه البريطانيون الشجعان .

سمبلين : كتب لوسيوس الى الامبراطور وأخبره بما يجري عندنا . المهم ان تكون مركباتنا وفرساننا على أتم الأهبة في الوقت المناسب . فالقوات التي يهيئها العدو في غاليا سرعان ما تكون جاهزة للمعركة فتتحرك لمقاتلة البريطانيين .

الملكة : ليس هذا وقت الغفوة ، بل السهر والعمل بسرعة ونشاط .

سمبلين : ان ثقتنا بصلاح ما جرى تدعم جرأتنا . لكن ، يا مليكتــي اللطيفة ، اين ابنتي ؟ لم تظهر في حضور الروماني ، ولم تقدم لي اليوم واجباتها . وهل اصبحت فتاة مشاكسة اكثر

منها خاضعة كما يظهر لي ؟ أدعوها للمثول أمامي لان كيل
صبري قد طفح (يخرج وجيه من الحاشية) •

الملكة : مولاي الملك ، منذ ابعاد بستيموس ، لاحظنا انها تعيش في عزلة • ولن يشفيها سوى مرور الزمن • فألتمس من جلالتك إن تتحاشى توجيه الكلام القاسي اليها • فهي امرأة حساسة جدا لا تتحمل الملامة وتعتبر في هذه الظروف كل لفظة ، وان لطيفة ، كأنها اهانة . وكل اهانة كأنها الموت الزؤام • (يعود الوجيه من مهمته) •

سمبلين : اين هي ، يا سيدي ؟ وكيف تفسر هذا السكوت ؟

الوجيه : لا تحنق يا مولاي • رأيت الشقق جميعها مغلقة ، ومهما رفعت صوتي لم ألقَ على ندائي من جواب •

الملكة : مولاي ، في آخر مرة ذهبت لمشاهدتها ، رجتني ان أعتذر اليك لانها وهي منزوية في جناحها بسبب انحراف صحتها ، لا يسعها ان تؤدي ما عليها من فروض الاحترام نحو شخصك • هذا ما ألحت علي بأن انقله اليك ، غير ان مهام البلاط الكثيرة الملقاة على عاتقي جعلتني اسهو عن ابلاغك اياه في حينه •

سمبلين : ان ابوابها مقفلة ، ولم يبصرها احد منذ بعض الوقت • أتمنى ان لا تكون مخاوفي في محلها • (يخرج بعجلة) •

الملكة : اتبع الملك ، يا بني •

كلوتن : منذ يومين لم أبصر خادمها القديم بيزانيو الذي تتكل عليه •

الملكة : اسرع اذاً • (يخرج كلوتن) • أجل ، ان بيزانيو يخلص الود لبستيموس • ولقد اعطيته مخدرا ، فما العمل ان تغيّب ليتناوله وهو يعرف مدى مفعوله • لكن ماذا حل بها هي؟ هل حطمها اليأس ، ام اغتنمت الفرصة لترحل الى زوجها وحبيبها بستيموس ، معرضة نفسها إما للموت او للـذل والهوان : وفي كلا الحالين انا بالغة مرادي ، اذ باختفائها أستولي على تاج بريطانيا الذي يؤول اليها • (يعـود كلوتن) ماذا جرى يا بنيّ ؟

كلوتن : بات هربها مؤكدا • فاذهبي وهدّئي روع الملك الـذي يهذي ، ولا يجرؤ احد على الدنو منه •

الملكة : هذا افضل • كم أتمنى ان لا يطلع عليه الصباح (تخرج) •

كلوتن (وحده) : انا احبها وأكرهها في آن واحد ، لانها جميلة ونبيلة ومتمتعة بميزات رائعة قلّ ان تتصف بها سيدة اخرى • كل ما في سواها من حسنات لا يعادل ما تتحلى وتنفرد هي به من خصال حميدة • في الحقيقة هي وحدها تحتكر كل الفضائل وتفوق جميع بنات جنسها • لذلك انا احبها• لكنها تمقتني وتفضل عليّ بستيموس الذي تخصه بكل عواطفها • وهذا ما يشوب رصانتها وعذوبتها ويحفزني على حسم الموقف حتى بالانتقام منها ، لاني لا اطيق ان اكون منبوذا • (يعود بيزانيو بغتة وبعجلة) • مَن هنا ؟ هل تتهيأ للرحيل ، يا مغفل ؟ اقترب مني • الآن وقعت في قبضتي

ايها الماكر الحقير • اين سيدتك ؟ اجبنـــــي فورا ، والا ارسلتك حالا الى الجحيم •

بيزانيو : ارجو حلمك ، يا مولاي الكريم •

كلوتن (ويده على سيفه) اين سيدتك ؟ أصدقني القول بحق الالـــــه المشتري ولا تدعني أكرر سؤالي • تباً لك من شقي خبيث• انا مصمم على انتزاع سرّك من صدرك ان اقتضى الامر بحد سيفي • قل لي هل هي مع بستيموس السافل الدنيء الذي لا يساوي اكثر من درهم واحد في ايام الغلاء ؟

بيزانيو : عجبا يا مولاي ، كيف تكون معه وهو في روما ؟ منذ متى اختفت ؟

كلوتن : اين هي يا مخاتل ؟ اقترب مني ولا تتردد في الجـــواب • اخبرني بكل ما تعرفه عنها • اين هي ؟

بيزانيو : آه ! يا سيدي الفاضل ، ليتني اعلم •

كلوتن : ايها المحتال الدجّال ، اخبرني على الفـــور اين سيدتك ؟ كفاك مماطلة ، تكلم ، وإلا انقلب صمتك حكما عليـــك بالاعدام ، ايها المخادع (يهدد بيزانيو بسيفه) •

بيزانيو : هذه الورقة ، يا سيدي ، تحوي كل ما تريد ان تعرفه عن هربها •

(يقدم له الرسالة التي استلمها من بستيموس • يأخذها كلوتن)

كلوتن : سألاحقها حتى درجات عرش اغسطس (يقرأ الرسالة) •

بيزانيو (على حدة) كان عليّ إما ان افعل هذا او ان اهلك . هي الآن
بعيدة جدا وفي مأمن من شره ، وما يطّلع عليه من الرسالة
قد يدفعه الى السعي اليها لتحقيق مأربه ، لكنه لن يتمكن
من إلحاق أي ضرر بها .

كلوتن : هه ، ها .

بيزانيو (على حدة) : سأكتب الى سيدي ان زوجته ماتت ، بينما انا أتمنى
لها ، هي سيدتي ايموجان، ان تسافر بأمان وتعود بسلامة.

كلوتن : هل هذه الرسالة حقيقية ، يا محتال ؟

بيزانيو : أجل يا سيدي ، على ما أعتقد .

كلوتن : لا شك في ان الكتابة بخط بستيموس ، لاني أتذكر طريقته.
فاذا اردت يا غبي ان تخدمني باخلاص ، وأن تقوم كما
يجب بكل ما اطلبه منك، أي ان تنفذ حالا وبأمانة ما آمرك
به ، سأحتفظ بك في خدمتي وأعاملك كرجل شريف ،
فتنعم بكل ما اجود به عليك من مال ورفعة .

بيزانيو : من كل قلبي ، يا مولاي .

كلوتن : هل حقا تريد ان تخدمني بوفاء ؟ فبما انك ثابرت بصبر على
ارتباطك بمصير المتسول الحقير بستيموس ، طبعا عندما
اغدق عليك الخيرات ، ستبذل جهدك لتخدمني بأمانة .
هل انت موافق ؟

بيزانيو : بكل سرور ، يا مولاي .

كلوتن : مد يدك اذاً وخذ هذا الكيس من المال . هل لديك ملابس

تخص سيدك القديم ؟

بيزانيو : نعم يا مولاي ، اني أحتفظ في منزلي بالبزة التي كان يرتديها عندما ودّع سيدتي •

كلوتن : فأول خدمة اطلبها منك هي ان تذهب وتجيئني بهذه البزة بدون امهال •

بيزانيو : انا طوع امرك ، يا مولاي • (يخرج)

كلوتن (وحده) : سأتبع بيزانيو الى ملفورد هافن • لكنني نسيت ان اطلب منه شيئا ، سأسأله اياه بعد هنيهة • وهناك سأقتل بستيموس الصعلوك الحقير • أود الحصول اولا على هذه البزّة • لقد قالت لي ايموجان يوما ، وأنا لا ازال أذكر حرفيا كلامها المرير ، انها تهتم بأبسط ملابس زوجها بستيموس اكثر من شخصي النبيل ، بالرغم مما أتحلى به من الصفات• اذاً سأغتصبها وأنا ارتدي ملابس بستيموس• سأبدأ بقتله تحت انظارها فتدرك اذ ذاك مدى عنفي وبطشي ، وتنال عقاب ازدرائها بي • وهو منى اصبح مجندلا على الارض ، وبعد ان أصبّ على جثته النتنة جام غضبي وأكون قد تذوقت طعم انتقامي وأرويت غليلي منها وأنا اغيظها وأسحق كبرياءها بما افرضه عليها مرتديا ملابس زوجها وحبيبها ، سأعود بها الى البلاط بعد ان أشبع جسمها ضربا وأدوس كرامتها • لقد ابتهجت هي

باحتقاري وسأتلذذ انا بالانتقام منها • (يعود بيزانيـــو بملابس بستيموس(هل هذه هي الثياب ؟

بيزانيو : أجل يا مولاي النبيل •

كلوتن : منذ متى رحلت الى ملفورد هافن ؟

بيزانيو : هي الأن على وشك الوصول اليها •

كلوتن : احمل هذه الملابس الى غرفتي ، وهذا ثاني امر أصـــدره اليك • اما الثالث فهو ان تكتم كل ما سمعت وشاهدت• ومهما كنت مخلصا في السابق عليك ان ترتفع الان الـــى مستوى المسؤولية التي أحمّلك اياها • سيتم انتقامي في ملفورد ، وكم أود ان يكون لي جناحان لأطير بهما الـــى هنالك في الحال • تعال وكن امينا • (يخرج) •

بيزانيو : انت تأمرني بتمريغ أمانتي في الوحل • اما اخلاصي لك فهو في نظري خساسة لا أريد ان ارتكبها بحق أوفـــى الرجال • اذهب انت اذا الى ملفورد، ولكنك لن تجد من تطاردها • ألا حلّي عليها ايتها البركات السماوية ، وعرقلي ايتها العقبات طريق هذا المجنون كي يصل بعد فـــوات الاوان ، ولا يلاقي سوى العناء والخيبـــة والحسرة • (يخرج) •

المشهد السادس

امام كهف بيلاريوس والشمس مائلة الى المغيب

(تصل ايموجان في زي فتى وهي تجر نفسها جرا من التعب)

ايموجان : تبدو لي حياة الرجال منهكة . فأنا خائرة القوى اذ مضى عليّ يومان وأنا أفترش الارض لأنام . ولولا عزمي وتصميمي ، لما وصلت الى هنا . يا مدينة ملفورد ، عندما اراني اياك بيزانيو من اعالي الجبل لحتِ لي كأنك قريبة مرتسمة على الافق . فبحق الاله المشتري ، لماذا اجد مساكنك تهرب جميعها امام البؤساء امثالي عوضا عن ان تؤمّن لهم المبيت ؟ لقد قال لي بعض المتسولين انني ضللت الطريق فهل كذب عليّ هؤلاء المساكين التعساء ؟ هل عرفوا ان في ذلك عقابا لي او تجربة قاسية ؟ لماذا لا ؟ فهذا لا يدهشني منهم ، ما دام الاغنياء نادرا ما ينطقون بالحقيقة ، والكذب على لسان الميسورين هو في نظري جريمة افظع من الغش الصادر عن المحتاجين المعدمين ، والخداع في أحكام الملوك افدح مما يتلبس به الفقراء المتسوّلون . ما انبلك يا زوجي العزيز . لانك لست محتالا أفاكا . الان وأنا أفكّر بك نسيت اني جائعة ،

وكدت منذ برهة اتهالك من الاعياء . (تبصر مدخل الكهف) . لكن ماذا ارى هنا ؟ هذا درب يوصل الى داخل الكهف الذي يبدو كأنه ملجأ مهجور . هل أستغيث ؟ كلا، انا لا اجسر على ذلك . لكن الجوع ، قبل ان يفتك بالانسان يدفعه الى تحدّي الخوف . وكما ان الجبن ينجم عن الامان والاستقرار ، كذلك الفقر يفجر البسالة والاقدام . ايه ! هل من احد هنا ؟ ايها المجهول ان كنت بشرا متحضرا كلمني . وان كنت متوحشا هاجمني واقتلني او تكرّم بابقائي على قيد الحياة . ما هذا السكون ؟ أليس من مجيب ؟ سأدخل اذاً ، وأنا مستلّة سيفي ، فلا بد من ان ترعب خصمي نصلة سلاحي ان لم أفزعه شخصيا ؛ وهو يكاد يأبه لي مع اني مستعدة للقضاء على أي عدو يجرؤ على مفاجأتي . اعينيني ايتها السماء . (تغيب في الكهف ويصل بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس) .

بيلاريوس : هل تصرفت يا بوليدور حسب عهدي بك كأفضل صياد او كسيّد الغاب ؟ انا وكلدوال سنقوم بالطبخ والخدمة كما اتفقنا ، وهكذا ننجز الشغل بسرعة ونصل الى مبتغانا . هيا بنا ، ان شهيتنا تجعل هذا الطعام البسيط من ألذ المأكولات . وكما ان من يقتله النعاس ينام حتى على الحجارة ، كذلك يجد الكسول الملول وسادة الريش

صلبة خشنة • (يتجه نحو الكهف) ها انا ادخل هـذا المأوى الذي أتوسم فيه خيرا •

غيداريوس : اني خائر القوى •

ارفيراكوس : وأنا قد انهكني التعب ، انما شهيتي مفتوحة •

غيداريوس : في الكهف لحم بارد سنتلهى بأكله ريثما يتم شواء الطريدة• (يتقدمون نحو الكهف) •

بيلاريوس (امام الكهف) : قفا ، لا تدخلا يخيل اليّ ان ساحرا يقبع هاهنا • ولا يستبعد ان يكون قد أكل زادنا •

غيداريوس : ما الامر ، يا سيدي ؟

بيلاريوس : بحق الاله المشتري ، لا بد من ان يكون هذا ملاكا او أعجوبة سماوية • انظرا اليه كأني به إله في شرخ الشباب • (تظهر ايسوجان عند المدخل بزي فتى) •

ايموجان : ايها السادة ، ارجوكم ان لا تؤذوني • فقبل ان ادخل الى هنا ناديت ولم ألقَ جوابا ، وكنت مزمعا ان أتسوّل او ان اشتري ما تناولته من طعام • بشرفي لم اسرق شيئا ، وما كنت سرقت حتى ان كانت الارض مكسوة ذهبا • ها هو ثمن ما اكلت ، وكنت انوي ان اتركه لكم على المائدة حالما انتهي من الاكل لأنصرف وأنا ادعو بالخير لمضيفي •

غيداريوس : أتدفع لنا نقودا ايها الشاب ؟

ارفيراكوس : أوليس من الافضل ان يتحول ذهب الارض وفضتها الى

أوحال ، لانها لا تساوي اكثر من الاصنام المصنوعة من الطين .

ايموجان : اراكم مستائين . ألا اعلموا ، ان كنتم تريدون قتلي عقابا على ذنبي ، اني كنت قضيت نحبي جوعا لو لم أبادر الى اقتراف هذا الذنب بتناول بعض طعامكم .

بيلاريوس : اين انت ذاهب يا صاح ؟

ايسوجان : الى ملفورد هافن .

بيلاريوس : ما اسمك ؟

ايسوجان : اسمي امين يا سيدي . لي قريب راحل الى ايطاليا وسيركب البحر من ملفورد . وأنا كنت ماضيا اليه لأرافقه ، عندما شعرت بالجوع يمزق أحشائي ، فسمحت لنفسي بارتكاب هذه الهفوة وأكلت .

بيلاريوس : ارجوك ايها الشاب الوسيم ان لا تظننا عديمي الذوق ، ولا تقيس نفوسنا الأبيّة بمظهر مأوانا الموحش . اننا نرحب بك ، وقد هبط الليل . نسألك ان ترضى بتناول طعـــام افضل قبل رحيلك عنا ونكون الك من الشاكرين على قبول ضيافتنا . تعالوا يا فتيان نبتهج بصحبته ونقدم له مــــا عندنا من طعام .

غيداريوس : لو كنتَ صبية ايها الشاب لغازلتك بحرارة وطلبت منك ان تكون خطيبتي . بشرفي ، ما كنت ترددت لحظة في دفع اغلى ثمن لقاء تحقيق هذه الامنية .

ارفيراكوس : كونه رجلا شهما أرتاح اليه ، يجعلني أحبه كأنه اخـــي •
(لايموجان) أجل ، لقد لقيت مني ايها الفتى ما تستحقه من
حسن الاستقبال بعد طول الغياب ، فأهلا وسهلا • إطمئن
وابتهج لانك وجدت فينا اصدقاء مخلصين •
ايموجان (على حدة) اصدقاء ؟ ليتهم كانوا لي اخوة ! لا تبخلي علي ايتها
السماء بهذه النعمة • لكأنهم ابناء ابي وأمي • ليت مصيري
أقل اهمية ، وفي مستوى يعادل مستواك يا عزيـــــزي
بستيموس •
بيلاريوس : يخيل الي ان همًّا يجثم على صدره كالكابوس •
غيداريوس : كم أتمنى لو استطيع انقاذه منه •
ارفيراكوس : وأنا ايضا ، بأية وسيلة وبأي ثمن ، ومهما كانت المغامـــرة
خطيرة العواقب •
بيلاريوس : كلمة واحدة ، يا فتيان • (يتحدث الى الشابين بصـــــوت
خافت) •
ايموجان : ما أظلم الدهر ! كبار النفوس ليس لهم من مسكن سوى
هذا الكهف • يخدمون ذواتهم ويكتفون بما ترتاح اليه
ضمائرهم ، رافضين الجزية النافلة التي يفرضها المجتمـــع
بغير وعي على نخبة الناس ، وهي ليست بأنبل من هذين
الاخوين • سامحيني ايتها الآلهة على هذا الكلام ، كم أود
ان أغير جنسي لأصبح رفيقهما ما دام بستيموس قــــد
خدعني وتخلى عني •

بيلاريوس : اتفقنا ؛ وسنعدّ ما اصطدناه لطعامنا (لايموجان) أدخل ايها
الشاب الوسيم ، فالحديث يُمل ّ ويرهق عندما تكون المعدة
خاوية . وبعد العشاء نسألك بدون تطفّل ان تروي لنـا
قصتك او ما تشاء ان ترويه لنا منها .
غيداريوس (لايموجان) : ارجوك ان تسير امامي .
ارفيراكوس : الليل للبوم ، والصباح للعصفور ليسا آنس لنا من مجيئك
الينا .
ايموجان : شكرا ، يا سيدي .
ارفيراكوس : ارجوك ان تسير امامي (يغيبون في الكهف) .

المشهد السابع

روما

(يدخل بعض شيوخ المجلس والقضاة)

الشيخ الاول: هذا هو رد الامبراطور : نظرا لانشغال عامة الشعب الان
بمقاومة البانونيين والدلماسيين ، وبسبب هزال الجيوش
المرابطة في بلاد «غاليا» لمحاربة البريطانيين العصـاة ؛
يحضّ جلالته الوجهاء على القيام بهذه الحملة . فيعيّن

أوسيوس قنصلا ، وعليكم انتم يا أفراد الشعب ان تعبئوا
انفسكم حالا فيوليكم السلطة المطلقة • وليحيا قيصر •

واحد من الشعب: هل ارسيوس هو القائد العام على جميع القوات ؟

الشيخ الثاني: نعم •

واحد من الشعب : وهو الان في بلاد «غاليا» ؟

الشيخ الاول: أجل ، مع الجيوش التي كلمتك عنها والتي ستدعمها
قواتكم المعبأة • ونصوص تكليفكم بالمهمة تحدد عدد
الرجال ومدة خدمتهم •

واحد من الشعب : سنقوم بواجبنا كاملا • (يبتعدون) •

الفصل الرابع

المشهد الاول

في بلاد «غاليا» ـ بجوار الكهف

(يصل كلوتن)

كلوتن : ها انا بقرب المكان الذي سيجتمعان فيه ، اذا كان بيزانيو صادقا في افادته . كم تناسبني ملابس بستيموس ! فلماذا لا تناسبني ايضا امرأته التي صنعها مَن صنع خياطه ؟ لاسيما كما يقال ، أعذروني على هذا التعبير ، ان الاهواء تغري جميع النساء . لا بد من ان أقدم على المحاولة . انا اكاد اجرؤ على الاعلان لنفسي ، اذ ليس مغرورا من يتكلم وحده في غرفته امام المرآة ، ان تقاسيم جسمي مكونة

بتناسق كجسمه ، وأنا أصغر منه سنا وأقوى بنية ، لكني غير موهوب مثله ، انما الظروف الحاضرة تساعدني • انا أرفع منه نسبا ، ونظيره قادر على القيام بجميع الاعمال ، وأبرع منه في المعارك الفردية • مع ذلك ، هذه العنيدة تحبه وتكرهني • فما قيمة الحياة ؟ بعد ساعة سأدحرج الى الارض رأسك المنتصب الان فوق كتفيك ، يا بستيموس• وسأغتصب زوجتك • سأمزق ثيابك تنفا تنفا امام عينيها، وبعد بلوغ أربي سأقودها الى والدها الذي قد يستاء مني قليلا على هذه المعاملة الخشنة لكن والدتي المتسلطة على مزاجه ستستغل الموقف وتحوّل لومه الى ثناء على همتي• ان حصاني مربوط جيدا • فابرز ، يا سيفي . وهيا الى سفك الدماء • ضعهما يا حظي في متناول يدي • ها هو الموعد الذي ضربه لي بيزانيو قد حان ، والغبي لا يسعه ان يخدعني (يبتعد) •

المشهد الثاني

في الكهف

(يصل بيلاريوس وغيداريوس وارفيراكوس، ثم تاتي ايموجان الى المسرح عبر مدخل الكهف)

بيلاريوس (لايموجان) : انت غير مرتاح ، يا بنيّ • فابقَ في الكهف

ونحن لن نتأخر في العودة اليك حالما ننتهي من الصيد •
ارفيراكوس : هيا ابقَ ، يا عزيزي • أولسنا اخوة ؟
ايسوجان : الانسان شقيق الانسان • أما الاجر فيختلف عن مثيله في الجودة بالرغم من كونهما كلاهما من طين واحد • انـــا متوعك الصحة قليلا •
غيداريوس (لبيلاريوس وأرفيراكوس) : اذهبا انتما الى الصيد ، وأنا ابقى معه •
ايسوجان : لست مريضا الى هذا الحد ، ولا من الموسوسين الذيـن يظنون ان منيّتهم قد ادركتهم حين يمرضون • فأرجوكم ان تدعوني وتذهبوا كلكم الى مشاغلكم اليومية لان تغيير العادة معناه التنازل عن الكثير • انا منحرف الصحة فقط وملازمتكم اياي لا تساعدني على الشفاء لان المؤانسة لا تريح من لم يتعودها • انزعاجي غير خطير ، ما دمت قادرا على تحمّله • ارجوكم ان تثقوا بي وتذهبوا • فأنا لا اقوى على اختلاس قشة • وان مت فالخسارة غير جسيمة •
غيداريوس : لقد قلت لك اني احبك كثيرا ، كما احب والدي •
بيلاريوس (لغيداريوس) : ماذا ، ماذا تقول ؟
ارفيراكوس (لبيلاريوس) : ان كان كلامي هذا خطأ ، يا سيدي ، فاني أضمه الى خطأ اخي • لست ادري لماذا احب هذا الفتى ؟ وقد سمعتك تقول ان الدافع الى الحب لا يحتاج الـى مبرر • هيئوا نعشا على الباب ، واسألوني من سيموت اولا

فأرد : طبعا ليس هذا الفتى •

بيلاريوس (على حدة) : ما انبل هذا الوداد ! انه دليل على كبر النفس وعراقة الحسب • الجبناء وحدهم ينجبون الصعاليك ، كما ان الاشرار لا يخلّفون سوى الانذال • فالطبيعة في كل مكان تزخر بالطحين والنخالة وبالاقذار والازهار • انــا لست اباهما ، لكنني لا ادري كيف أحبا هذا الغريب اكثر مني ؟ (بصوت عالٍ) الساعة الان التاسعة صباحا •

ارفيراكوس (لايموجان) : وداعا يا اخي •

ايموجان : أتمنى لكم صيدا موفقا •

ارفيراكوس : وأنا أتمنى لك الصحة والعافية • (لبيلاريوس) : انا تحت تصرفك يا سيدي •

(بيلاريوس وارفيراكوس وغيداريوس يتحادثون بصوت خافت)

ايموجان (على حدة) : يا لهم من أوفياء كرماء ! يا الهي ، كم سمعت من الكذب قبل الان ! لاسيما بين اهل البلاط الذين يدّعون ان خارج مجتمعهم كل البشر فاسدون • وها هو الاختبار يكذّب اقوالهم • ان امبراطورية البحار تعج بالمشعوذين الغادرين ، بينما الانهار التي تصب فيها تحوي ألذ الاسماك التي تغذينا • آه ! لا يزال صدري المنقبــــض يؤلمني • سأتناول من دوائك يا بيزانيو •

غيداريوس (لبيلاريوس) : لم أتمكن من حمله على الكلام • فقد قال لي

انه كريم الاصل لكنه تعيس ، وبالرغم من بؤسه حافظ على استقامته ٠

ارفيراكوس : هذا ما اجابني به انا ايضا ٠ وقد اضاف اني في المستقبل سأعرف عنه المزيد ٠

بيلاريوس : هيا الى البرية ٠ (لايموجان) : سنغادرك ٠ فنم واسترح ٠

ارفيراكوس : ارجو ان لا يطول مرضك ، لانك ستساعدنا على قضاء حاجاتنا المنزلية ٠

ايموجان : سواء أكنتُ معافى او منحرف الصحة ، انا متمسك بمودتكم ٠

بيلاريوس : ارجو دوام الألفة والوئام ٠ (تبتعد ايموجان وتعود الى الكهف) مهما كانت حالة هذا الفتى معدمة وشقية ، يبدو حقا انه من بيت عالي النسب ٠

ارفيراكوس : ما ارخم صوته الملائكي !

غيدريوس : وما أطيب طبخه ! يقطع خضارنا بمهارة ، ويهيء حساءنا بذوق رفيع ٠ وان مرض احدنا لا يتردد في مداراته ٠

ارفيراكوس : ويتحمل الاوجاع بنبل وابتسام ، كأن الالم يغار لانه ليس ابتساما على شفتيه ، وكأن الابتسام يندد بألم يهجر هيكلا مقدسا ليواجه الرياح العاتية التي يلعنها الملاحون ٠

غيداريوس : ألاحظ ان الالم والصبر اللذين تأصلا فيه قد اخذت جذورهما تتشابك في أعماقه ٠

ارفيراكوس : ان في الصبر لقوة وعظمة ٠ فتحمّل الاوجاع والبلايا يطهر النفس الأبية ويشدد الجذور المتراخية في الكرمة

الاصيلة النامية .

بيلاريوس : ها قد ادركنا الضحى . فهيا نجدّ السير . من الآتي الى هنا ؟ (يصل كلوتن) .

كلوتن : لم أهتدِ الى هؤلاء المشرّدين . فالدجّال قد سخر مني . آكاد أسقط على الارض ما شدة الاعياء .

بيلاريوس : من هو هذا المتشرد ؟ هل يعنينا امره ؟ يخيل اليّ انـي اعرفه . هو كلوتن ابن الملكة . وآنا اخشى ان يرمينا في ورطة . منذ أعوام مديدة لم يقع نظري عليه . ولكنـي واثق بأنه هو . ونظرا الى اننا خارجون على القانـون فالاولى بنا ان تتوارى عن العيان .

غيداريوس (لبيلاريوس) : هو وحيد . اذهبا انت وأخي ، وابحثا عـن حراس في هذا الجوار . الرجاء ان تسرعا وتتركانـي وحدي معه . (يبتعد بيلاريوس وأرفيراكوس) .

كلوتن : مهلا . من انتما ايها الهاربان ؟ هل انتما من لصوص الجبل الذين سمعت عنهم اخبارا مخجلة ؟ (لغيداريوس) : مـن انت ايها الشقي ؟

غيداريوس : انا من يزعجه السكوت عن هذه الاهانة والجواب عليهـا بغير الضرب .

كلوتن : انت لص حقير تدوس القانون . استسلم ايها الجبان .

غيداريوس : لمن ؟ لك ؟ من انت ؟ أوتظنني أقل قوة وجرأة منك ؟ لا انكر ان صوتك أعلى ، ما دمتَ لا أحمل بوقا فـي حنجرتي . قل لي من انت ، كي أستسلم اليك ؟

كلوتن : تباً لك ايها المغفل الحقير • أولم تعرفني من ملابسي ؟

غيداريوس : كلا ، يا مغرور • ولا اعرف الخياط الذي فصّل لك هذه البزة التي ، على ما يظهر ، خلعت عليك كل هذه الغطرسة•

كلوتن : ايها الأفّاك الدنيء ، لم يصنعها لي خياطي •

غيداريوس : اغرب عن وجهي اذاً ، وامضِ الى من تكرم بها عليك ، واشكره لانك لست سوى متسوّل خسيس اربأ بأن أنازلك •

كلوتن : سحقاً لك من صعلوك وقح •- ألا اعرف اسمي وارتجف •

غيداريوس : ما اسمك ؟

كلوتن : كلوتن ، يا غبي •

غيداريوس : وان كنت تدعى كلوتن ، ايها المغرور الاحمق ، فأنا لن يرفّ لي جفن ، حتى ان كان اسمك ضفدع او افعى او عنكبوت لن يؤثر عليّ مطلقا •

كلوتن : سأزيد من روعك ، وأضع حدا لتهريجك ، وأعلمك بأني ابن الملكة •

غيداريوس : انت تثير حفيظتي ، لان سحنتك لا توحي بما تدّعيه من عراقة النسب •

كلوتن : أولست خائفا ؟

غيداريوس : انا لا اخشى الا العاقل الذي أحترمه • اما المهووس مثلك فأهزأ به ولا احسب أي حساب لادعاءاته السخيفة •

كلوتن (وسيفه في يده) : مت اذاً يا شقي • وبعد ان أزهق روحك بحد

هذا السيف أتابع ملاحقة الشريدين اللذين هربا منذ هنيهة ، وسأعلق رؤوسكم جميعا على ابواب مدينة «لود» . استسلم ايها الجبلي البليد .

(يبتعدان وهما يتعاركان . يعود بيلاريوس وارفيراكوس)

بيلاريوس : ليس من حراس في كل الجوار .

أرفيراكوس : ألم تبصر احدا ؟ لقد غرّه مظهره بدون شك .

بيلاريوس : انا لست من رأيك . فمنذ زمن بعيد لم أشاهده . غير ان الوقت لم يغير شيئا من معالمه السابقة . فصوته الأجش لا يزال كما هو ؛ وكلامه القاسي هو هو . انا واثق بأنه كلوتن .

ارفيراكوس : لقد تركناهما هنا . أتمنى ان يجهز اخي عليه . تقول ان منظره مزعج .

بيلاريوس : أقصد ان اقول انه قبل ان يصبح رجلا لم يكن يخشى أي خطر ، لانه كان فاقد الشعور ولا يفقه الجزع . لكن انظر الى اخيك (يعود غيداريوس حاملا رأس كلوتن) .

غيداريوس : كلوتن هذا ، كان آخرق عديم الفهم ليس في رأسه درهم عقل . هرقل ذاته لم يكن ليقوى على سحق دماغه لانه محروم منه كليا . أوتصدّق آن هذا الصعلوك ، لو لم أبادره بشجاعة ، لكان حمل رأسي بدلا من ان احمل انا رأسه بيدي كما افعل الآن ؟

بيلاريوس : ماذا صنعت ؟

غيداريوس : انا مدرك تماما ما فعلت • لقد قطعت رأس شخص اسمه كلوتن ، يدّعي انه ابن الملكة ، وكان يعتبرني مارقا وجبليا ابله ، وكان يقسم بأنه وحده يستطيع ان يقبض علينا كلنا ويدحرج رؤوسنا عن أكتافنا — لكن شكرا للآلهة ، هي لا تزال مكانها — ولم يتمكن من تعليقها على حيطـــان مدينة «لود» •

بيلاريوس : لقد هلكنا جميعنا •

غيداريوس : يا والدي الحبيب ، ماذا كنا فقدنا اكثر من حياتنا التـي أقسم ان يسلبنا اياها • القانون لا يحمينا • فلماذا نتورع وندع مثل هذا الوقح المغرور يهدد وجودنا ، وأن ينصّب ذاته علينا قاضيا وجلاّدا ، وحجّته ان من اوجب واجباتنا احترام القانون • هل رأيت حراسا في جوارنا ؟

بيلاريوس : لم أشاهد احدا بتاتا • لكن التفكير البعيد ينبئني بأن له رفاقا • ومع ان مزاجه كان في تقلّب مستمر متنقلا بدون انقطاع من سيء الى اسوأ ، فليس من هوس او جنون مطبق قاده الى هنا • ربما قيل في البلاط ان هذا الكهف يأوي مبعدين يعيشون على الصيد ، قد يعيشون يوما في الارض فسادا • واذ سمع ذلك استشاط غضبا ، وهـذا ليس غريبا عن طبعه ، وأقسم بأن يأتي للقبض علينا • ولكن من المستبعد ان يغامر بالقدوم الى هذا المكـــان بمفرده او ان يسمح له ذووه بذلك ، فعلينا اذاً ان لا نغفل

عن ان يكون لهذا الجسم ذنبا اقطع من الرأس ينذرنـــا
بأوخم العواقب •

أرفيراكوس : ارجو ان تكون الآخرة كما رسمتها الالهة • ومهما حدث
لا أشك في ان اخي أحسن صنعا •

بيلاريوس : انا لم أتوفق اليوم في الصيد ، لان مرض الفتى امين جعلني
اشعر بأن الطريق طويل جدا •

غيداريوس : وبسيفه الذي كاد يحزّ على عنقي ، قد فصلت عن بدنه
رأسه الذي سأرميه في السيل وراء صخرتنا كي ينجرف
الى البحر ويروي للسمك انه رأس كلوتن ابن الملكة •
فلا يبقى لي بعد ذلك من همّ (يبتعد) •

بيلاريوس : انا اخشى الاقتصاص منا يا بوليدور ، وكم وددت ان لا
تكون انت بالذات اقدمت على هذا العمل ، مهما برهن
على بسالتك وبراعتك •

ارفيراكوس : كم يسرني ان اكون فعلت ذلك، حتى ينالني الانتقام وحدي •
يا بوليدور انا أحبك كأخ عزيز ، لكنني أحسدك على هذا
الاقدام وقد حرمتني القيام بمثل مهمتـــك • كم أود ان
تبرز بوادر الاخذ بالثأر التي تستطيـــع قوى البشر ان
تجابهها ، وتوافينا الى هنا وتحاول محاسبتنا بعدل على
اعمالنا •

بيلاريوس : ها قد قضي الامر ، ولن نذهب اليـــوم الى الصيد •

فلنتجنب البحث عن المخاطر النافلة • عودا ، انت وأمين ، الى الكهف لكي تطهوا لنا طعامنا • وأنا سأنتظر هاهنا رجوع بوليدور ، الرشيق السير ، فآتي بصحبته حـالا لتناول الغداء •

ارفيراكوس : مسكين امين ، هو مريض • ويسرني ان أبادر الـى رؤيته • ولكي أرد اليه لون محياه سأقصد بارتياح مجموعة من أمثال كلوتن معتبرا ذلك افضل احسان • (يبتعد ويغيب داخل الكهف) •

بيلاريوس : ايتها الطبيعة القديرة ، كم تتجلى حكمتك في هذين الاميرين الصغيرين • هما رقيقان كالنسيم العليل الذي يسري تحت البنفسجة بدون ان يهز تاجها الفواح • مع ذلك حالما يغلي الدم الملكي في عروقهما تراهما أشد وأعنف من العاصفة الهوجاء التي تهبّ على رأس الصنوبرة في الجبل فتحنيه نحو الوادي • امر عجيب ، ان تعلمّهما غريزة خفيّة هذا الجلال بدون أي درس وهذه العزة بدون تلقين ؛ وهذه المدنية بدون مثال يقتديان به ، وهذه القيم التي تختمر في أعماقهما بحنكة تلقائية تحصد ما قد زرعت • مع ذلـك اتساءل باستمرار ، ماذا يخبىء لنا حضور كلوتن الى هنا من مفاجآت ، وماذا سيجرّ علينا موته من بلايا • (يعود غيداريوس) •

غيداريوس : اين اخي ؟ لقد بعثت برأس كلوتن مع مياه السيل رسولا

الى أمه ، محتفظا بجسمه كرهينة الى حين عودته •

(تسمع موسيقى جهورية كئيبة كأنها آتية من الكهف)

بيلاريوس : ماذا أسمع ؟ هذه هي الاشارة المتفق عليها • انصت يـا بوليدور • ولكن لأي سبب يطلقها كلدوال ؟

غيداريوس : هل هو في البيت ؟

بيلاريوس : لقد وصل الان •

غيداريوس : ماذا يريد ان يقول ؟ منذ وفاة امي الحبيبة لم اسمع هذا الصوت ، انما الاجراءات الهامة تتعلق بالحالات الهامة • فماذا جرى يا ترى ؟ ان الفرح الذي ليس له من داع ، كالنحيب الذي ليس له من موجب يشبه مرح القرد او حزن الولد • فهل جنّ كلدوال ؟

(يسرع ارفيراكوس الى خارج المغارة حاملا ايموجان شبه ميتة)

بيلاريوس : انظر ما حل به • انه يحمل بين ذراعيه السبب الوجيه الذي كنا نلومه عليه •

ارفيراكوس : لقد مات الشخص العزيز الذي كنا نحبه بكل جوارحنا • فكم أود ان أقفز من ربيعي السادس عشر الى الستين من العمر ، وأن أستبدل رشاقتي بعكازين بدلا من ان ارى هذا المشهد الذي يفتت الاكباد •

غيداريوس : ايها الزنبق النقي الذي يهيم بحبك اخي كنت اروع عند تهاديك فيما بيننا بقامتك المشوقة •

ريوس : ايتها الكآبة دليني على مغامر واحد يسبر غور الهاوية التي ترديت فيها . وعندما ينتشلك من الاعماق ، يحملك الى الشاطىء حيث ترقد الجثث الهامدة ؟ انا اعرف ايها الفتى المحبوب انك مت كمدا . (لأرفيراكوس) في اية حالـــة وجدته ؟

يراكوس : جامدا كما تراه ، باسما هكذا . كأنه يحس اثناء رقـــاده بدغدغة فراشة خفيفة ، لا بضربة الموت القاضية ، وخده الايمن ملقى على وسادة .

.اريوس : اين ؟

يراكوس : على الارض . ويداه متشابكتان على صدره . لقد ظننته نائما فخلعت خاشعا نعلي المحدد الذي يطأ الصخر بخشونة تحت أقدامي .

داريوس : وفي الواقع كان نائما . فان غادرنا . فلكي يجد في ضريحه سريرا تزوره الجنيات مؤنسة ، ولا تجسر الديدان على الدنو منه مهابة .

فيراكوس : سآتيك بالازهار طوال الصيف يا امين ، ما دمتُ حيـــا لأعطّر قبرك الحزين . لن اتأخر عن تزويدك بأزهار نضيرة كوجهك المشرق وبنفسج لازوردي كعروقك الزرقاء وورق ورد بري اجده بدون مبالغة أقل اريجا من أنفاســــك العطرة . في اثناء غيابي سينقل ابو الحن بمنقاره مـــن الزهور ما يقصّر في تقديمه ورثتك الاغنياء الذين يتركون

فقيدهم مسجى بدون ضريح فخم • أجل سيجلب لك ما يتسنى له من ورود ، وعندما لا يبقى من زهور سيكسو جثمانك بساطا من العشب الاخضر كوشاح يقيك بـرد الشتاء •

غيداريوس : كن كريسا ، ولا تقصّر في هذه الواجبات كفتاة صغيرة مرتبكة عاجزة عن التصرف بلباقة • تعالوا ندفنه ولا نؤجل وفاء هذا الدَين نظرا الى ما عرفناه فيه من صفـات حميدة • فالى القبر اذاً •

ارفيراكوس : اين سندفنه ؟

غيداريوس : بجانب أمنا الصالحة أرفيل •

ارفيراكوس : نعم ، علينا ان نفعل ذلك يا بوليدور ، ومهما غدا لصوت صديقنا من نبرة اكثر رجولة ، فلنرتل له حتى نوصله الى الحفرة ، كما كانت تفعل والدتنا في الماضي • ولننشد ذات الكلمات بنفس النغم مستبدلين أرفيـل باسم امين

غيداريوس : انا لا أريد ان أرتل يا كلدوال • سأكتفي بالنحيب عوضا عن الكلام •

ارفيراكوس : سنتلو فقط •

بيلاريوس : لا يغرب عن بالك ان الآلام الكبيرة تلهي عن الصغيرة • فقد نسينا كلوتن يا ولدي • وكان ابن ملكة • وان يكن قد جاءنا كعدو ، لا تغفلا عن كونه دفع ثمن استهتاره باهظا• فالحقير والجليل كلاهما يموتان ويعودان الى التراب •

انما الفرق بينهما هو ان الناس في هذا العالم فقط يميزون
بين الصغير والكبير • لقد كان خصمنا اميرا فسلبتماه
الحياة لانه عاملنا كأعدائه • اما الان فعلينا ان ندفنه كأمير
وقد تساوى بالموت وأوفى الاصدقاء •

غيداريوس : رجائي ان تذهب وتأتي به • فان الشرير يوازي الصالح
عندما تخمد أنفاس كل منهما •

ارفيراكوس : وفيما انت ذاهب لتأتي بكلوتن نرتّل نحن النشيد (يبتعد
بيلاريوس) إبدأ يا اخي •

غيداريوس : ليس الان يا كلدوال . يجب اولا ان ندير اتجاه رأس أمين
نحو الشرق كما اوصانا والدنا •

ارفيراكوس : هذا صحيح •

غيداريوس : ساعدني على تغيير وضعه •

(غيداريوس وارفيراكوس يضعان ايموجان في القبر •
والليل يرخي سدوله)

ارفيراكوس : حسنا ابدأ •

نشيد

غيداريوس : لا تخشَ وهج الشمس
ولا العواصف على النفس
فقد قمت بدورك بين الأحياء
وعدت الى بيتك بعد العناء
فتيان وفتيات في الدنيا مهما استقروا

من الدودة الى التراب أصلهم لن يفرّوا

ارفيراكوس : لا تخف غضبة الكبار

فقد تخلصت منها بلا خيار

ولم يعد لك همّ في مأكل وملبس

فالقصب والسنديان وعرق النرجس

مع التاج والنبوغ والعلم

مآلها الى التراب حتما ، نعم .

غيداريوس : لا تفزع من لمع البروق .

ارفيراكوس : ولا من قصف الرعد المريع .

غيداريوس : لا تخشَ النميمة والاتهام الشنيع .

ارفيراكوس : لقد انتهى عهد الفرح والحزن بالنسبة اليك .

كلاهما معا: كل المحبين الشبان لا بد لهم من ان يلحقوا بك ويرقدوا مثلك تحت التراب .

غيداريوس : ارجو ان لا يعذبك مستحضر الارواح .

ارفيراكوس : وأن لا يسحرك المشعوذ الدجّال .

غيداريوس : وأن يحترمك كل صولجان مسرع الى الزوال .

ارفيراكوس : وأن لا يصيبك أي مكروه .

كلاهما معا : لتكن آخرتك هادئة ، وليكن قبرك مكرّما .

(يعود بيلاريوس حاملا جثمان كلوتن ، عند حلول الاصيل)

غيداريوس : لقد انتهينا من تشييع جثمان امين . وبقي علينا ان ندفنه.

(يوضع جثمان كلوتن الى جانب ايموجان)

بيلاريوس : هذه بعض الزهور ، وعند منتصف الليـــل نضع غيرها •
فالورود التي يتساقط عليها الندى البارد ليلا هي أنسب
لنثرها على الضريح •

(يلقي الثلاثة ما في ايديهم من زهور على الجثمان)

لقد كنتما زاهيين كهذه الازهار • وها قد ذبلتما كما تذوي
الورود التي ننثرها الان عليكما • لننسحب الان جانبـــا
ولنركع متضرعين فالارض التـــــي جادت بهما قـــــــد
استرجعتهما • وأفراحهما في هذا العالم ولتّت نظــــــير
آلامهما •

(يمضي بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراغوس)

ايموجان (تحلم) : أجل يا سيدي ، انا ذاهبة الى ملفورد هافن • فأيــــن
الطريق • أشكرك • انه بمحاذاة ذاك الغاب • ألا تزال
المسافة بعيدة ؟ رحماك ، أمامي مسيرة ستة آميال • هل
هذا ممكن ؟ أنا في اول الليل • لعمري سأتمدد علـــــى
الارض وأنام • (تلامس جثمان كلوتن) • مهلا ، لا أريد
رفيقا في سريري • (تتفحّص الجثمان) : هـــــذه ملابس
بستيموس • اني اعرف شكل فخذيه • ها هي بطة ساقه
وهذه يده وهذه قامته المديدة وعضلاته المفتولة • انمـــا
هيئته تشبه ابليس • فهل ترتكب جرائم القتل ايضا فـــي
السماء ؟ ولكن اين رأسه ؟ (تنتصب مخبولة) • آه ! يـــا

بيزانيو ، لتحل عليك جميع اللعنات فوق لعناتي ، لانك
تآمرت وكلوتن ، هذا الشيطان المجرم الذي قطع رأس
زوجي . من الان وصاعدا كل ما تقوله وتكتبه يعتبر خيانة .
تباً لك من لئيم ، يا بيزانيو . انك برسائلك المختلقة قد
هدمت اقوى صارية في اعظم مركب جاب بحار العالم .
لهفي عليك يا بستيموس ، اين رأسك ؟ اين هو ؟ كان
الاولى ببيزانيو ، ان يطعنك في قلبك ويبقي لك رأسك .
فمن الذي تصرف هكذا ؟ أهو حقا بيزانيو ؟ أجل هو
وكلوتن . لقد تضافرت الاطماع والخساسات على اقتراف
هذه الجريمة البربرية . هذا واضح . لان الدواء الذي
اعطاني اياه بيزانيو ، مدعيا انه يشفي ، وجدته سما زعافا
قضى على احساسي . وهذا ما يؤكد كل ظنوني ، لانه من
صنع بيزانيو وكلوتن . ألا دعني يا بستيموس أخضّب
بدمك وجنتيّ الشاحبتين لنبدو كلانا في غاية البشاعة لمن
يتسنى له ان يرانا هكذا . آه ! يا زوجي العزيز : اين
انت الان ؟ (تسقط مغمى عليها . يصل لوسيوس ومعه
ضابط ثم ضباط آخرون ثم العرّاف) .

الضابط : ان الجيش المرابط في بلاد غاليا قد اجتاز البحار حسب
امرك . وهو ينتظرك في ملفورد هافن مع أسطولك ،
والجنود على أتم الأهبة للتدخل .

لوسيوس : ولكن ما هو طلب روما ؟

الضابط : اقد حرّك مجلس الشيوخ الحلفاء وخيالة ايطاليا المتطوعين المتحمسين الذين يستعدون للمساعدة الفعالة ، وهم بإمرة ياشيمو الشجاع شقيق امير سيانا .

لوسيوس : متى تنتظر وصولهم ؟

الضابط : في اول فرصة .

لوسيوس : هذا الاندفاع يوطد آمالنا . اصدر الامر الى فرقنا المتأهبة لتتخذ مواقف القتال ، وقل لسائر الضباط ان يسهروا . (للعرّاف) : وأنت يا سيدي بماذا توقعت حديثا في موضوع نهاية هذه الحرب ؟

العرّاف : لقد كشفت الآلهة الليلة البارحة لعينيّ رؤيا مصيرية بعد ان صمت وصلّيت لأسترشد بأنوارها . وهاك ما وصلت اليه : شاهدت النسر الروماني يطير من جنوب المجرّة الى هذه الناحية من الغرب ، وهناك يندمج بأشعة الشمس ، الامر الذي يرجح فوز الجيش الروماني ، الا اذا تسببت ذنوبي في تشويش توقعاتي . (يبصر جثمان كلوتن) . مهلا . ما هذا الجسم المقطوع الرأس ؟ ان هذا الركام يدل على ان البناء كان شاهقا (ثم يبصر ايموجان) من هو هذا الفتى ؟ أهو ميت ام نائم على الآخر ؟ لا بد من ان يكون ميتا لان الطبيعة تأبى على الجثمان مشاركة سرير الميت او النوم على جثة اخرى . هذا فظيع . فلنشاهد محيا الفتى.

الضابط : انه حي ، يا مولاي .

لوسيوس : اذآ سيفسر لنا وجود هذه الجثة المشوهة الملقاة بجانبه • (لايموجان التي اخذت تنتصب واقفة) اخبرنا ايها الفتى بمغامرتك مفصلا لانها على ما ارى تسترعي الانتباه • من هو الذي جعلت منه وسادتك الدامية ؟ او بالحري من شوّه هذه الصورة الجميلة التي رسمتها الطبيعة النبيلة ؟ ما هو دورك في هذه الكارثة المحزنة ؟ كيف حدثت ؟ من هو ؟ ومن انت ؟

ايموجان : انا لا دور لي ولا علاقة بالقضية • اذ من الافضل ان لا يتدخل المرء في مثل هذا الامر • كان هذا الرجل سيدي، وهو بريطاني شجاع وطيب القلب ، فقتله بعض اهالي الجبل • وا أسفاه ! لن اجد سيدا نظيره ، وقد أجوب الشرق والغرب جادا في طلب عمل وأجرب الكثير والافضل من الاعمال ، ورغم استعدادي للخدمة بأمانة لن احظى بسيد مثله •

لوسيوس : مسكين انت ايها الشاب • شكواك تحرك الشفقة في قلبي كمنظر سيدك المضرّج بدمه • قل لي ، يا صديقي ، ما اسمه ؟

ايموجان : اسمه ريكاردوس الكرّام (على حدة) هذا كذب لا ينجم عنه ضرر ، فآمل ان تغفره لي الآلهة • (بصوت عالٍ) ماذا تقول يا مولاي ؟

لوسيوس : ما اسمك ؟

ايموجان : امين ، يا مولاي .

لوسيوس : اسم يطابق المسمى ، ويليق حقا باخلاصك . هل تريد ان تجرب حظك معي ؟ انا لا اقول لك : اني انا سيدك الجديد أساوي القديم . انما كن على يقين بأني سأحبك نظيره . واعلم ان رسائل التوصية ، حتى ان كانت من قبل الامبراطور ، لن تفيد في ترقيتك بقدر استحقاق عملك . تعال معي .

ايموجان : سأتبعك يا مولاي . لكن اسمح لي اولا بأن اضع سيدي في مأمن من لسعات الذباب ، في حفرة عميقة بمقدار ما تتيحه لي هذه المعاول . (تبرز اظافرها) وبعد ان اغطي ضريحه بالاوراق والاعشاب البرية ، أغادر خدمته وألتحق بك اذا كنت تقبلني كخادم لك .

لوسيوس : نعم ايها الفتى . وسأكون لك أبا اكثر من سيد . يا اصحابي لقد علمني هذا الشاب واجباتي كرجل . فلنبحث عن المرج المزدان بأزهار الربيع ولنجهز للميت بما لدينا من معدات ، ضريحا لائقا . هيا ، أنهضوه . (لايموجان) وأنت يا ولدي ، بما انك اوصيتنا به خيرا سيكون له القبر الذي يتسنى للجنود اعداده . فتشجع وامسح دموعك . از بعض الكبوات ليست الا حوافز ناجعة تساعد على الارتقاء (يخرج الجميع) .

المشهد الثالث

في قصر ملوك بريطانيا

(يدخل سمبلين وبعض الوجهاء ثم بيزانيو)

سمبلين : ليذهب واحد منكم ويرجع بسرعة كي يقول لي كيف حال الملكة ؟ فقد انتابتها الحمى من جراء غياب ولدها وسيطر عليها الهذيان الذي يهدد حياتها بالخطر . ايتها السماء ، ما هذه المصائب الفادحة التي تنزل بي ؟ ايموجان التي اعتبرها اكبر تعزية لي قد اختفت ، والملكة على فراش النزاع ، بينما الحروب المدمرة تهددني من كل صوب ، وابنها الذي لا أستغني عنه لاسيما في هذه الآونة الاخيرة، قد اختفى ، وأيضا انا مرهق ينتابني اليأس . (لبيزانيو) اما انت يا رفيقي ، فلا بد لك من ان تكون عالما بسر رحيل ابنتي وتتجاهل الامر تماما . سأعرف كيف اجبرك على الكلام بواسطة التعذيب الرهيب .

بيزانيو : مولاي الكريم ، حياتي بين يديك وتحت رحمتك . اما سيدتي فانى حقا لا ادري اين هي ، ولماذا ذهبت ومتى تعود . ألتمس من جلالتك ان تعتبرني من اخلص خدمك.

الوجيه الاول (لسمبلين) : ايها الملك الجليل ، يوم اختفائها كان هـذا الرجل هنا • وأنا أقسم وأؤكد انه يقول الحقيقة وانه يتمم بأمانة ، جميع واجباته كأحد رعاياك • أما ما يخص كلوتن فلا شك عندي في انه سيعود •

سمبلين (لبيزانيو) : أمور كثيرة تشغل بالي ، ولا اريد ان أحمّلك همها حاليا مهما سببت لي شكوكي من الارهاق •

الوجيه الاول : اسمح لي ، يا صاحب الجلالة ، بأن اقول لك ان الجيوش الرومانية التي سحبت جميعها من بلاد غاليا قد انزلت من السفن الى شواطئكم مع عدد من وجهاء روما ، ارسلهم مجلس الشيوخ •

سمبلين : انا الان بحاجة الى نصائح ابني والملكة • وأراني مضعضع الفكر حيال خطورة هذه الاحداث •

الوجيه الاول : ايها الملك المعظم ، ان جيوشك قادرة على مقاومة القوات التي ذكرتها ولو انضم اليها غيرها لمساندتها ، ستجد انت ايضا عونا جديدا • فما عليك الا ان تأمر الجموع الغفيرة التي تنتظر على أحر من الجمر كي تتحرك •

سمبلين : أشكرك • تعال ننسحب لنواجه الظروف الحاضرة • نحن لا نخشى تهديدات ايطاليا • انما ما يجري عندنا هو الذي يقض مضجعي • فالى الامام • (يخرج الجميع ما عدا بيزانيو) •

بيزانيو : لم أستلم شيئا من سيدي ، منذ ان كتبت له وأوهمته بمقتل

ايموجان • والغريب اني لم أستلم أي نبأ من قبل سيدتي التي وعدتني بأن تزودني بأخبارها بتواتــر • ولا ادري ماذا حل بكلوتن • فأنا حقا في منتهى الحيرة • على مــا يظهر ، لم تنته كوارثي بعد • فقد اصبح كذبــــي ملاذي الوحيد ، وأنا مطمئن لان الكــــذب ليس من عادتي • والحرب الحاضرة ستحمل الملك نفسه على الاعتقاد بأني احب بلادي ، ولا أتردد في ان اموت فداءها • لنــــدع الزمان يجلو كل هذه الغوامض • فالحظ السعيد يقود الى المرفأ الامين اكثر من مركب بدون دفة ، توجهه الامواج التي تتقاذفه وتتلاعب به • (يخرج) •

المشهد الرابع

يصل بيلاريوس وغيداريوس وارفيراكوس

غيداريوس : الضجيج يحيط بنا من كل جانب •

بيلاريوس : لنبتعد عنه اذاً •

ارفيراكوس : أي جاذب يا سيدي ، يشدنا الى هذه الحياة كي تتشبث بها ولا نعرّضها للمخاطر والضياع ؟

غيداريوس : أجل ، ما الفائدة من اختبائنا ؟ اذا سلكنا هذا الطريق ، فاما ان يقتلنا الرومان كبريطانيين ، وإما ان يعتبرونا برابرة ثائرين فيبيدونا •

بيلاريوس : سنرحل اذاً الى اعالي الجبال يا ولديّ لنكون في مأمن، اذ يستحيل علينا ان ننضم الى أنصار الملك ، لان موت كلوتن الحديث العهد يعرّضنا نحن الذين لا يعرفنا احد ولم نلتحق بصفوف المقاتلين، الى الاستجواب حول المكان الذي عشنا فيه حتى الان ، وأجوبتنا ستجر علينا الوبال والموت المحتم بعد العذاب المبرّح •

غيداريوس : هذا الخوف لا يليق بك يا سيدي ، في هذه اللحظة ولا يشرّفنا نحن الاثنين •

ارفيراكوس : هل يعقل ، حين سماع صهيل خيل الرومان او مشاهدة أضواء مخيّمهم حيث الانظار والاسماع منشغلة بأمور في غاية الاهمية ، ان ينصرف البريطانيون الى اضاعة الوقت في تفحّص أوضاعنا وتبيّن اين كنا ؟

بيلاريوس : انا معروف في اوساط الجيش • ولم أبصر كلوتن الا في حداثة سنه • ومع ذلك انتما تشهدان بأن الزمن لم يمحه من ذاكرتي • على كل حال ، لم يستحق الملك لا خدماتي ولا حبكما • فجاء نفيي ليحرمكما من الثقافة وسط شظف العيش هذا ، ويحجب عنكما الامتيازات التي تحق لكما

بحكم نسبكما • فتعرضتما لحر الصيف المحرق ولصقيع الشتاء المضني •

غيداريوس : عدموجودنا هو افضل من بقائنا على هذه الحالة • فلننضم الى الجيش يا سيدي • انا وأخي لسنا معروفين ، وأنت البعيد عن أنظار الجميع ، وقد غيَّرتك الايام، ستكون في مأمن من الاستجوابات •

ارفيراكوس : انا ذاهب تحت هذه الشمس الساطعة • ومن المستغرب ان لا اكون قد شاهدت في حياتي رجلا يموت • وأكاد اقول اني لم أبصر دما يسيل الا من الارانب الخائفة والماعز الحائضة والوحوش الضارية المقتولة • انا لم اركب سوى الحصان وطريقتي في امتطائه بدائية • اني أخجل ، لدى رؤيتي الشمس الخيِّرة ، من التمتع بأشعتها المفيدة ، ومن البقاء هكذا طويلا نكرة مجهولة •

غيداريوس : بحق السماء ، انا ايضا ذاهب (لبيلاريوس) اذا اردت ان تباركني ، يا مولاي ، وأن تمنحني حريتي سأدافع ببسالة عن بلادي ، ولكن اذا لم تشأ ، فستنهال عواقب هذا الرفض عليّ ، اذ يذيقني الرومان كاسات المنون •

ارفيراكوس : انا أردد ما قاله • آمين •

بيلاريوس : بما انك غير متمسك بحياتك ، فلا داعي لكي أهتم انا بتقدمي في السن • فأنا ذاهب معكما يا ولديّ • واذا

قدّر لكما ان تموتا دفاعا عن وطنكما فشواي الاخـــير
سيكون الى جانبكما • هيا الى الامام (على حدة) الوقت
يبدو لهما طويلا ، وهما يجدان ذاتيهما مقصّرين لان دمهما
لم يهرق •

الفصل الخامس

المشهد الأول

خيمة في المعسكر الروماني

(يدخل بستيموس ، وفي يده منديل ملوث بالدم)

بستيموس : أجل ، ايها المنديل المخضب بالدم سأحتفظ بك . لاني انا الذي اردتك ان تكون داميا هكذا . ايها الازواج ، اذا اتبعتم مثالي ، كم منكم يغتالون نساء اكثر فضيلة من انفسكم لأقل انحراف يبدر منهن . يا خادمي الامين بيزانيو ، لا تنفّذ جميع أوامري . عليك فقط ان تنفذ العادل منها . ايتها الآلهة ، لو اخضعت كلا من اخطائي

للعقاب ، ما كنت عشت لأعاني هذه النهاية التعيسة، وهكذا كنت صنت حياة الاميرة ايموجان وأفسحت لها المجال لكي تندم ، وكنت انزلت القصاص بي انا البائس المستحق انتقامك اكثر منها • وا أسفاه ! هنـــاك اناس تزهقين ارواحهم لأتفه الهفوات، وبتظاهرك بحبهم تضمنين تكرار سقوطهم ، بينما انت تتيحين لسواهم شتى الفرص كي تتراكم ذنوبهم أكداسا وتشوهين القبيح ليصبح اقبح ، وتدعين الجميع يرتجفون خوفا على مستقبل سعادتهم • لقد اخذتِ مني ايموجان ، فلتكن مشيئتك ، فقط امنحيني نعمة الصبر على فقدها • يكفيك ، يا بريطانيا ، ان اكون قاتل ملكتك • هدّئي روعك، لن أجرّ عليك خطبا جديدا• فاسمعي اذاً بصدر رحب ما صمت عليه ، ايتها السماء السمحاء • سأتخلّص من هذه الملابس الايطالية وأرتدي ثياب فلاح بريطاني • وهكذا أحارب الفريق الذي اتيت بصحبته ، وأنا عازم على تجرّع كأس الحِمام في سبيلك يا ايموجان . اذ حوّلت كل نسمة في حياتي الى دخان خانق، ولاني نكرة لا أثير شفقة ولا اسفا ، انوي ان ألقي بنفسي الى هوّة العدم • أريد ان يتعرف الناس من خلالي الى قيم أثمن من التي يدل عليها مظهري • ايتها الآلهة امنحيني قوة أسلافي ، ونظرا الى انحطاط اساليب هذا العالم أود

ان احصر الامتياز في جوهر الرجـــل لا في ظاهره .
(يخرج) .

المشهد الثاني

في ساحة المعركة

(من جهة يمر اوسيوس وياشيمو والجيش الروماني ، ومن جهة اخرى الجيش البريطاني يتبعه بستيموس ببزة جندي مسكين ، ثم تنسحب الجيوش بعد اجتيازها المسرح .
حينئذ تحدث مناوشة ، فيعود ياشيمو وبستيموس وهما يتقاتلان . ينتصر بستيموس ويجرد ياشيمو من السلاح ويتركه اعزل) .

ياشيمو : ان الجريمة التي تعذب ضميري تجردني من كل نشاط . لقد اتهمتُ بالخيانة الزوجية امرأة هي اميرة هذه المقاطعـــة وزينة بنات جنسها . واذا بالهواء الذي يسري في الفضاء يضعف عزيمتي انتقاما . فهل تمكن هذا اللص ، هـــذا الدجّال الحقير ، من السيطرة عليّ في تنفيذ مهمتـــي الخاصة ؟ ان ما أنعم به من الشرف والمجد والسؤدد ليس سوى مظاهر مضحكة . اذا لم يتغلب نبلكم يا ايهـــا

البريطانيون على خسة هذا اللئيم الذي يناوىء وجهاءنا
ويضخم الفرق بيننا ، فنحن نكاد نكون رجالا بينما انتم
في مصاف الآلهة ترتعون .

(يبتعد ياشيمو وتستمر المعركة. يهرب البريطانيون
ويقبض على سمبلين . حينئذ ياتـــي بيلاريوس
وغيداريوس وارفيراكوس ليخلصوه)

بيلاريوس : مكانكم ! لقد استولينا على هذا الموقع وأمسى الممر تحت
حراستنا ، ولن يضعضع عزيمتنا سوى جبننا وتخاذلنا .
غيداريوس وأرفيراكوس : مكانكم ! ولنواصل القتال .

(يصل بستيموس الذي يساعـــد البريطانيين ،
ويخلص سمبلين ويبتعد به . ثم ياتــي اوسيوس
وياشيمو وايموجان) .

لوسيوس (لايموجان) : انسحب من المعمعة وانصرف ايها الفتـــى .
فالاصدقاء يقتلون اصدقاءهم ، والفوضى منتشرة كـأن
الحرب معصوبة العينين لا تبصر .
ياشيمو : في كل هذا يعود الفضل الى فرقهم المرسلة حديثا .
لوسيوس : لقد تغير سير المعركة . فلنطلب النجدة او نهرب (يبتعدون).

المشهد الثالث

في مكان آخر من ساحة القتال

(يصل بستيموس ووجيه بريطاني)

الوجيه : هل انت قادم من معقل المقاومة ؟

بستيموس : أجل . أما انت فيخيل الي انك آت من حيث يهرب المحاربون .

الوجيه : نعم .

بستيموس : انت لا تلام يا سيدي ، ان حلت بنا هذه الخسارة الجسيمة ، لان السماء لم تساعدنا . فالملك ذاته قد فصل عن جناحي جيشه ، والجنود تفرقوا ، والبريطانيون لم نعد نرى سوى ظهورهم ، وكلهم يهربون عبر ممر ضيّق. والعدو المتحمس رغم تقطع أنفاسه يتابع مجزرته ؛ وأمامه عمل اكثر مما تستوعبه مقدرته . فالبعض جروحه خطيرة والبعض الآخر اصابته طفيفة وقسم سقط من الفزع ، فغصّ الممر بالاموات وجلّهم مطعونون في ظهورهم ، لان الجبناء الذين لا يزالون أحياء يلاقون حتفهم ببطء ، يخنقهم العار الذي لحق بهم .

يه : اين يقع هذا الممر ؟

موس : قريبا من ساحة المعركة . هناك خندق عميق يحيط به المرج.
فاستفاد منه جندي مسنّ ، أؤكد لكم انه رجل شريف
يستحق كل ثناء على ما قام به من عمل بطولي ، بالرغم من
شيخوخته ولحيته البيضاء . هو الان لا يزال وسط الممر
بين شابين جبارين أحرى بهما ان يتباريا في المصارعة
من ان يقوما بمجزرة ، ومحياهما اكثر اشراقا من كثير
من الوجوه الناعمة التي يغلب عليها الحياء . فدافع الرجل
عن الممر بمساعدة البطلين ، وهو يصيح بالهاربين : عبيد
بريطانيا هم الذين يلوذون بالفرار ويموتون من الرعب ،
لا الرجال الاشداء . الى الجحيم كل من يتراجع . قفوا ،
او ننضم نحن الى الرومانيين ، لنعاملكم كأننا في الصيد،
اذا واصلتم هربكم كالبهائم . لا خلاص لكم الا بالمجابهة
التي لا تعرف التراجع . قفوا ، قفوا . واذا بهؤلاء الثلاثة
يقاتلون كأنهم ثلاثة فيالق ، لان ثلاثة محاربين يكوّنون
جبهة قتال في موقع يمنع الآخرين من أي تحرّك . وبهذه
الصيحة : قفوا ، قفوا ، التي جعلها الظرف والمكان أنسب
ما يقال ، رشق الرجال بسحر عجيب ونفخ فيهم روح
البسالة التي قلبت المغزل في يدهم سهما وشعّت على
وجوههم نورا مشجعا فحوّلت ترددهم الى حماسة لا تهاب
المنايا وشدت عزائم من جبنوا تشبها بسواهم . وفي

الحرب ، اول المهزومين هم المتقهقرون مباشرة ، والمتطلعوز
بدون مبالاة الى الارض التي يخسرونها ، واللاعنون جذافا
كما يزأر الاسود بلا جدوى امام رماح الصيادين الماهرين.
عندئذ يحين امام المهاجمين وقت الوقوف ثم الانسحاب
بعد انتشار الفوضى الهدامة . ها هم يتراكضون كالدجاج
الى حيث بدأ انقضاضهم كالنسور ، ويتراجعون كالعبيد
بعد الخطوات الجريئة التي تقدموا بها منتصرين . وسرعان
ما يصبح الرعاديد ، وهم كفضلات المؤونة اثر مسـيرة
طويلة شاقة ، كحاجة قصوى لتأخير الانكسار. واذ يجدون
الفرصة ملائمة لتشتيت المصابين والعزّل من السلاح ،
تستفيق حماستهم فيضربون هنا القتلى وهناك المنازعين ،
وهنالك الاصدقاء الذين جرفتهم أولى موجات الهاربين .
عشرة رجال طاردهم رجل واحد ، هم الان قادرون ، كل
منهم على ذبح عشرين . ومن فاتهم الموت بدون مقاومة
ينقلبون ، كما تعلم ، الى مصاصي دماء في ساحة المعركة.

الوجيه : هذه وقائع عجيبة عن هذا الممر الضيّق وهذا العجوز وهذين الشابين .

بستيموس : لا تدهش هكذا . انت خلقت لتعجب بمآثر غيرك لا لتصنعها بنفسك . هل تريد ان تنظم القوافي وتبتدع قصيدة كهذه:

فتيان وعجوز في شرخ الشباب وطريق

انقذوا بريطانيا وشتتوا الروماني العريق •

الوجيه : ما رأيك ؟ لا تحنق •

بستيموس : وما الفائدة ؟ سأكون دوما رؤوفا بمن يهرب من عدوه ، لانه يتصرف حسبما اعتاد ؛ ولا بد له قريبا ؛ من ان ينفر من صداقتي • لقد شجعتني على نظم القوافي •

الوجيه : ألا تزال غاضبا ؟ الوداع • (يبتعد) •

بستيموس : هو لا يزال يهرب ، مع انه من الوجهاء • تباً لهذا النبيل المنحط • هو قادم من ساحة الوغى ، ويطلب مني أخبارا عن القتال • اسفي على رجال يضحّون بشرفهم لانقاذ رؤوسهم ، ولانهم أولوا ظهورهم هكذا للشجاعة ، لبسهم العار وهلكوا • وأنا مع اني بقيت رهن شقائي لم ألاقِ حتفي ، مع اني ابصرته وجها لوجه ؛ ولم يحصدني منجل الموت وان صال وجال • غريب ان يختبىء هذا الوحش البغيض في الاسرّة الناعمة ، ويكمن في الكلام المعسول • ولا يستعين بنا نحن المحاربين المجلّين في استعمال السلاح • مهما كلف الامر أريد ان أتحدى هذا الموت الذي يعفّ الان عن البريطانيين • وأنا لا ابتغي ان اكون واحدا منهم ، بل ان أسترد مكانتي بين الرومان • انا لا أقصد القتال ، وسأستسلم لاول راشٍ يلمس كتفي لأنحاز اليه • فظيعة هي المجزرة التي قام بها الرومان هنا ؛ وأفظع

منها هو انتقام البريطانيين . بالنسبة الي" الفدية تعني الموت ، وأنا قادم الى هنا لألتحق بأي فريق ،تخلصا من حياة لم اعد ارغب في المحافظة عليها ولا التشبث بها . فلأخل المكان بأي ثمن لايموجان . (يدخل ضابطان بريطانيان وبعض الجنود) .

الضابط الاول: الحمد للاله المشتري . لقد ألقي القبض على لوسيوس . اما هذا العجوز وابناه فيغلب ظني انهما من الملائكة .

الضابط الثاني: كان بصحبتهم رابع بلباس الفلاحين ، وقد هاجم معهم.

الضابط الاول: هذا ما بلغني . ولكن لم يعثر على احد منهم . (يلمح بستيموس) : قف . من انت ؟

بستيموس : روماني لم يأت الى هنا لإضاعة الوقت ، بل لمد" يد العون.

الضابط الثاني: ألقوا القبض عليه . ها هوذا كلب آخر . لن يبق" لهم من اثر ، فليس من مجال ليعودوا الى روما ، ويخبروا كيف، اكلت لحمهم الغربان هنا . هو يشيد بخدماته كأنه رجل يعو"ل عليه . خذوه الى الملك .

(يدخل سمبلين وموكبه ثم بيلاريوس وغيداريوس وارفيراكوس وبيزانيو . ثم اسرى رومان . يقدم الضابطان بستيموس لسمبلين الذي يسلمه الى السجان . يبتعد الجميع) .

المشهد الرابع

في السجن

السجان الاول: الان لن يختطفك منا احد ، وأنت مسجون • فارع هنا
على هواك ان وجدت المرعى خصيبا •

السجان الثاني: وكانت شهيتك مفتوحة • (يخرج السجان) •

بستيموس : أرحب بك ايها الاسير، لاني أعتقد بأنك على وشك الانعتاق•
مهما يكن الامر ، انا أسعد حالا من المريض بالنقرس الذي
يفضل الأنين باستمرار على راحة الموت المحتّم ، هـــذا
الطبيب الذي لا يخطىء العلاج ، ويحتفظ بمفاتيح جميع
الاقفال المستعصية • يا ضميري اراك مكبلا اكثر من يديّ
ورجليّ • اينتها الآلهة ألهميني الندامة لكي افتح لها كل
مزالج قلبي وأحظى بالطمأنينة نهائيا • هل يكفي ان اشعر
بالحسرة ؟ فبالتوبة يهدّىء الاولاد روع ابيهـــم مؤقتا ،
وتبدو الآلهة أرحم في حكمها • لو قدّر لي ان اتوب لما
وسعني ان أفعل اكثر مما يتاح لي في هذا الاسر الطوعي
وغير المفروض عليّ • ان كان الواجب يقضي بأن أسدد
ما عليّ لأغنم حريتي ، أتوسل اليك ايتها الآلهة ان تكتفي

باسترداد جسمي الفاني . انا اعلم انك اوسع حلما من الدائنين الجشعين المنتسبين الى زمرة الاشرار من البشر الذين يرتضون من مدينيهم المفلسين دفع الثلث او السدس او العشر من ديونهم ليتيحوا لاعمالهم ان تزدهر مجددا بتأجيل استرداد ما تبقى لهم في ذمتهم . انا لا اطلب هذا مقابل حياة العزيزة ايموجان . خذي حياتي وان كانت لا تساويها ، فهي مع ذلك حياة مخلوقة على مثالك . وبين الرجال لا قياس لتمييز شتى العملات مهما كانت ممسوحة النقش عن المعدن ، تراها مقبولة بسبب الصورة التي لا تزال تحمل آثارها ، ولذلك ستقبلين بتضحيتي لاني مخلص صادق النية . ايتها القوى السماوية لا ترفضي لي هذه التوبة . خذي حياتي وسامحيني على اغلاطي الطفيفة . والآن أريد ان أناجيكِ بصمت ومهابة، يا حبيبتي ايموجان . (ينام) .

(تسمع موسيقى جهورية . يدخل سيسيليوس والد بستيموس ، وهو عجوز بلباس محارب في رؤيا ، يمسك بيد زوجته المسنة والدة بستيموس . تعزف الموسيقى ثانية . يصل عندئذ الأخوان الصغيران وهما شقيقا بستيموس ، وقد ظهرت عليهما الجراح التي سببت موتهما في الحرب . والجميع يتحلقون حول بستيموس النائم) .

سيسيليوس : يا سيدي العظيم ، كف عن نفث غضبك على مجموعات

البشر • استشط غيظا على إله الحرب مارس وتشاجر مع
جينون التي تحصي عليك مباذلك ومجونك وتنتقم منك •
وا ولداه ! ألم تفعل الخير دائما ؟ انا لم أره مطلقا • لقد
مت انت وهو لا يزال في أحشاء أمه ينتظر سماح الطبيعة
ليخرج الى هذا العالم • ليت للرجال حق القول انك كنت
ابا اليتيم • كان عليك ان تتصرف كوالد وتحميه من ويلات
هذه الدنيا •

الأم : ان لوسين بدلا من ان تساعدنـــي : اغرقتني في الآلام ،
وبستيموس خطف مني واقتيد باكيا الى الاعداء • لهفي
عليه من طفل تعيس •

سيسيليوس : لقد حبته الطبيعة ، نظير اجداده ، مزايا حميدة اكسبتـــه
عطف الناس ومديحهم كوريث سيسيليوس عن جـــدارة
واستحقاق •

الاخ الاول : حالما اصبح ناضجا في سن الرجولة ، لم يوجد في كل أرجاء
بريطانيا من استطاع موازاته واكتساب عطف ايموجـان
التي تعرف جيدا ان تميز بين الغث والثمين ، بين الصعلوك
والامير •

الأم : فلماذا طرد اذاً من ربع ذويه بسبب هذا الزواج الغريب ،
وحرم من حبيبته ايموجان الحلوة ؟

سيسيليوس : لماذا سمحت لواحد مثل ياشيمو وهو من حثالة الناس في
ايطاليا ان يلطخ طهارة قلبها وروحها بفجوره وغطرسته ؟

فأصبح ولدي المخدوع ألعوبة في يد هذا المخلوق الحقير؟

الاخ الثاني : لقد جئنا من عزلتنا الهادئة للاطلاع على احـــوال اهلنا . فكلانا افتدينا وطننا وسقطنا بشجاعة قتلى في ساحـــة المعركة أمناء على العهد مدافعين بشرف عن قومنا وأرضنا .

الاخ الاول : ولقد اظهر بستيموس عين البسالة في خدمة سمبلين ، فلماذا أخَّرت ، ايها الإله المشتري ، يا ملك الآلهة ، منحه مـــا يستحق من مكافأة وحوّلت عيشه الرفيه الى بؤس وآلام .

سيسيليوس : افتح نافذتك البلّورية ، وكفّ عن انزال مصائبك المفجعة بهذه الفئة من الشرفاء الشجعان .

الأم : ايها الإله المشتري ، بما ان ولدي صالح ، أبتهل اليك ان تضع حدا لشقائه .

سيسيليوس : انظر من اعالي مقامك الرفيع ، وانجدنا ، او نصرخ نحن الخيالات الضعيفة امام مجمع عظماء المنوّرين مندّديـــن بألوهيتك .

الاخ الثاني : النجدة ، ايها الإله المشتري ، ونبتعد عن محكمتـــــك مهرولين .

(ينزل الاله المشتري وسط الصواعـــق والبروق والرعود . فتخرّ الخيالات على ركبتيها جاثية) .

الإله المشتري : ألا كفّي ، يا أرواح العالم السفلي ، عن تخديش أذنـــي بنعيبك . اصمتي ايتها الاشباح . كيف تجسرين على اتهام الاله القدير الذي يهيمن من سمائه على كل المتمردين ؟ الى

الوراء ايتها الاطياف المسكينة • اذهبي وارتاحي على مروجك الخضراء ، ولا تهتمي بما يحدث للبشر ، لان ذلك لا يعنيك ، كما تعلمين ، بل يخصني انا وحدي ، فأعاقب من اشاء ، لكي تكون هباتي اجمل وقعا على مستحقيها • هدئي روعك فان ألوهتي ستنهض ابنك المنحدر ، وستحوّل ما أستحقه من احزان الى كنز لا ينضب من الافراح •• ان فتاي ، انا الاله المشتري ، قد اشرف على رؤية النور ، وقد تزوج بموافقتي • فانهضي انت ايضا واغربي عن وجهي • سأجعله سيدا ، وتكون ايموجان حليلته • وكلما ازداد عذابه ازدادت سعادته أضعافا مضاعفة • ضعي على صدره هذه اللوحات التي تحمل سجل مصيره ، ثم اذهبي • وكفّي عن التعبير بهذه الضجة عن قلة صبرك خوفا من اثارة قلة صبري • هيا اصعد الآن ايها النسر الى قصري البلّوري •

(يغيب)

سيسيليوس : لقد نزل وسط البروق والرعود ، وكان نفَسه السماوي يعبق برائحة الكبريت • فحطّ النسر المقدس كأنه يريد ان يسحقنا • ثم حلّق يفوح منه أريج أعطر من حقولنا المزهرة السعيدة • فبسط الطائر الملكي اجنحته الخالدة وسنّ منقاره كما يفعل عندما يكون الإله مغتبطا •

الجميع : شكرا ايها الاله المشتري •

سيسيليوس : أغلق البلاط الرخامي ، وعاد الإله الى مقامه المشعّ بالانوار الباهرة . فلنرحل ، ولكي نعيش سعداء ، يجب ان نتقيد حرفيا بأوامره العلية .

(تغيب خيالات الرؤيا)

بستيموس (يستيقظ) : ايها النوم المريح ، كنت لي أحنّ الجدود فأعطيتني أبا عطوفا وأماً حنونا وأخوين وفيين . ولكن ، يا لسخرية القدر ، لم يبقَ لي منهم احد ، جميعهم غابوا حالما أتموا مهمتهم . ها انا قد استيقظت . والبؤساء المساكين الذين يعتمدون على افضال الكبار يحلمون نظيري ، فيستفيقون ولا يجدون حولهم غير الفراغ وهوة العدم . انا لا ادرك ما اقول . كثيرون لا يفكرون بالسعادة التي لا يستحقونها ، وهم مع ذلك مثقلون بهباتهم مثلي انا الذي رأيت هذا الحلم الذهبي بدون ان ادرك لا غايته ولا مغزاه . (يضع يده على صدره) . اية جنّيات تسكن هذا المكان ؟ ما هذه الرسالة ؟ انها رائعة، شرط ان لا تكون بأسلوب هذه الدنيا التي يبدو ظاهرها اجمل من باطنها ، نظير ما عهدناه في العديد من رجالاتنا الذين يجزلون الوعود ولا يفون . (يقرأ) عندما تهبّ على شبل يجهل ذاته نسمة هواء عليل تضايقه لانه لم يبحث عنها ، وعندما تعود الاغصان المفصولة عن الارز العظيم الى الحياة مع جزعها الاصيل وتخضر من جديد بعد مرور أعوام

على جفافها ، حينئذ يزول شقـــاء بستيموس ، وتسترد بريطانيا سعادتها وازدهارها في البحبوحة والسلام • هذا شبيه بالحلم او ببعض الاحاجي التي ينطـــق بها المجانين بدون أي ادراك • فاما ان تكون هذه الرسالة خالية من كل معنى او خارجة عن نطاق أفهامنا • وهذا ما يرمز الى وجودي وأود ان أحتفظ به لاني متشبث به • (يدخـــل السجان) •

السجان : هيا يا سيدي ، هل انت مستعد للموت ؟

بستيموس : لقد تعدّى استعدادي حدود المعقول • أنا جاهز منـــذ زمن طويل •

السجان : حبل المشنقة ينتظرك يا سيدي • ان كنت متأهبا حقا فهذا هو المرغوب •

بستيموس : ان كان مشهد القضاء عليّ يرضي المتفرجين ، يكون ثمن الحبل قد استوفي •

السجان : حسابك عسير يا سيدي • ولكن عزاءك هو انك لم تعـد مضطرا للدفع • فلا تخشَ بعد اليوم مطالبتك بأجـــر الكهف الذي ان وفّر لك السرور ، فلا شـــك في ان مغادرتك اياه مؤسفة • انت تدخل الى هنا خائر القوى لانك جائع ، وستخرج منه مترنحا من كثرة الشرب ، واذا ساءك الثمن الباهظ وضايقتك التخمة ، فكن مطمئن البال ان الكيس والفكر فارغان • الفكر خفيف جدا لانـــه

استخف" كثيرا ، والكيس خفيف جدا لانه حُلَّ" مرارا عديدة . قريبا ستكون في منأى عن هذه التناقضات . ما هذا الاحسان الذي لا يساوي الا ثمن حبل بفلسين ؟ فلا تكاد تضيق العقدة حتى يتجمع عليك آلاف المستطلعين ، وتتخلص بسرعة من الماضي والحاضر والمستقبل . لا تنسَ ان عنقك هو في آن واحد القلم والسجل ومنصـــــة الحساب ، فلن تنقضي برهة الا وتكون قد سددت جميع ما عليك في هذا العالم من ديون متراكمة .

بستيموس : نا مسرور بموتي اكثر مما تذوقته من بهجة طوال حياتي .

السجان : صحيح يا سيدي ، ان النائم لا يحس بوجع الأسنان . انما الانسان المحكوم الذي يأخذ قسطه من الرقاد يتحتم على سجانه ان يضعه في السرير ويستبدل طوعا مكانه بمحـــل المشرف على تدبير مثواه الاخير ، لانه لا يعرف الطريق الذي عليه ان يسلكه .

بستيموس : اذا كنت تعنيني ، يا صديقي ، فأنا اعرف سبيلي .

السجان : فاذاً لموتك عينان مبصرتان ، انا لم ألاحظهما ابدا . فلا بد لمن يقودك من ان يدّعي المعرفة او ان تدّعي انت العلم بما تجهله حتما ، او ان تغامر ايضا باستكشاف مسؤوليتك متحملا كل عواقبها . اما مدى نجاحك في سفرك الاخير فاعلم بأنك لن تعود لتخبر احدا به .

بستيموس : انا ادري ، يا صديقي ، بأن لكل امرء عينين توجهانه في

الطريق الذي يسلكه ما عدا من يغمضهما عمدا ولا يريد ان يبصر •

السجان : ما هذه المهزلة السخيفة ؟ هل يتسنى للانسان ان يستخدم ناظريه لرؤية دربه ويتعامى عنه ، في هذه الحالة ، انا على يقين بأن الشنق هو طريق من يتجاهل ويغفل بصره •

الرسول (للسجان) : فك قيود سجينك وخذه الى الملك •

بستيموس : تبدو اخبارك مطمئنة ، يا صاح • فهل انا مطلـــوب للافراج عني ؟

السجان : ان كان الامر كذلك ، فأنا أوافق على شنق نفسي •

بستيموس : ستكون اذاً حرا اكثر من السجان ، لان الميت لا يحتاج الى مزلاج لحجزه • (يخرج مع السجان) •

السجان : ان لم يكن هناك رجل يرضى بأن يتزوج المشنقة لينجب مشانق صغيرة ، فأنا لم أشاهد في حياتي محكوما عليـه بالاعدام مستعجلا نظيرك • أجل ، لعمـــري ، الا ذاك الروماني المغفل المستعبد الذي ينبغي ان يعيش • هناك اشخاص يموتون مرغمين ، وسأحذو حذوهم ، ان كنت منهم • اما انا فأود ان لا يكون لي سوى نفس واحـدة صالحة ، فلا يبقى من حاجة الى الجلادين والمشانق • انا أتكلم بما يناقض مصلحتي الحالية ، انما لما اتوق اليه حتما حسنات لا تحصى • (يخرج) •

المشهد الخامس

في خيمة الملك

ايدخل سمبلين وبيلاريوس وغيداريوس وارفيراكوس وبيزانيو والوجهاء والضباط ورجال الحاشية) .

سمبلين : ابقوا الى جانبي ، انتم الذين ارسلتكم الآلهة لانقاذ عرشي . كم يحز" في قلبي ان لا يكون احد قد عثر على ذاك الجندي النشيط الذي قاتل كالابطال ، وكانت اسماله تحذي الدروع المذهبة ، وصدره العاري يتحدى التروس الصلبة . هنيئا لمن يجده ، لاني مصمم على غمره بالسعادة والرخاء .

بيلاريوس : لم اجد في حياتي تصرفا أنبل مما ابداه هذا المخلوق البسيط ، ولا مأثرة اروع من التي اتاها هذا الرجل الذي لم ينتظر احد منه سوى البؤس والمسكنة .

سمبلين : أليس من خبر عما حل به ؟

بيزانيو : لقد بحثنا عنه بين الأحياء والاموات فلم نعثر له على اثره

سمبلين : هذا مؤسف للغاية . لاني اصبحت اسير معروفه ، ومكافأته اضحت من اوجب واجباتي . (يلتفت الى بيلاريوس وأرفيراكوس) . أريد ان اضم فضله الى فضلكم ، لانكم

انتم الذراع والقلب والدماغ في انقاذ بريطانيا التي يجب ألا تحيا الا بكم ، ها قد حان الاوان لأسألكم من ايـن انتم ؟ بربكم أعلموني •

بيلاريوس : نحن يا مولاي ، مولودون في كمبري وكنا من الوجهاء • وادعاؤنا غير هذا لن يكون حقيقيا ولا عادلا ولا متواضعا، الا اذا اضفت عليه اننا رجال شرفاء •

سمبلين : أسألكم ان تركعوا • (يجثو الثلاثة على ركبهم • يستـل الملك سيفه ويضع نصلته برفق على كتف كل منهـم بالتوالي) • انهضوا الان يا فرساني • اني أضمكم الـى حاشيتي ، وأمنحكم ما يلائم مرتبتكم • (يدخل كرنيليوس والسيدات المرافقات للملكة) • ارى الاضطراب يعلـو وجوهكن ، فلماذا تحيّون انتصارنا بمثل هذا الحزن ، كأنكم من الرومان لا من بلاط ملك بريطانيا ؟

كرنيليوس : أحييّك ايها الملك العظيم • وان كنت احمل اليك نبـأ ينغص عيشك ، عليّ ان أبلغك ان الملكة وافاها الأجل •

سمبلين : من يسوؤه هذا الخبر اكثر من الطبيب ؟ ان فقدها يحزنني، لكن مهما أطال العلم عمرها سيقضي الموت حتى علـى الطبيب الذي عالجها • كيف ماتت ؟

كرنيليوس : ميتة فظيعة جهنمية كحياتها يا مولاي ، ما دامت قد التزمت قساوتها نحو الجميع ، حتى انها لم تحجم عن ظلم نفسها• أكرر عليكم انها أقرّت بأغلاطها ، وها هن نساؤها يشهدن

على صحة قولي • ولا غروى ، ان لم اكن مخطئا ، ان يؤكد ذلك ايضا صاحب الخدّين الموردّين ، الذي كان ساهرا بجانبها اثناء لفظها أنفاسها الاخيرة •

سمبلين : ارجوك ان تتكلم •

كرنيليوس : اولا ، اعترفت بأنها لم تحبك قط ، لانها لم تكن متعلقة بصفاتك وشخصيتك بل بما توفره لها مكانتك من عز وجاه ونفوذ ، فرضيت بأن تزف اليك لتنعم بلقبك الملكي ، واقترنت بمقامك الرفيع وهي لا تميل الى شخصك الكريم •

سمبلين : لقد حرصت على اخفاء الامر طوال حياتنا المشتركة . ولو لم تؤكد لي انت انها صرحت به وهي على فراش النزاع، ما كنت صدّقت هذا الكلام ابدا •

كرنيليوس : اما ابنتك التي كانت تتظاهر بأنها تحبها كثيرا ، فكانت في نظرها كالعقرب ، كما أقرت هي بذلك • ولو لم ينقذها منها هربها ، لكانت قضت عليها بالسم •

سمبلين : تبا لها من افعى ناعمة الملمس ! من يستطيع ان يدرك مكر النساء ؟! هل هذا كل ما في الامر ؟

كرنيليوس : لا ، فالاسوأ لم يأت ذكره بعد • لقد اعترفت ايضا بأنها كانت تعدّ لك سماً ناقعا ، متى تناولته أطفأ شعلة حياتك شيئا فشيئا حتى تقضي نحبك ببطء ، لا سمح الله • وفي هذه الاثناء ، كانت تنوي ان تسيطر عليك بمكائدها ، تدعمها السهرات والدموع والمداعبات والقبلات ، ريثما

تكون قد مهدت لذهنك ، طبعا بالحيل ، قبولـك تبنّي
ولدها وجعله ولي عهدك . غير ان اختفاءه فوّت عليهـا
الفرصة فاستسلمت الى هياج وقح لئيم ، واختلّ تفكيرها
وباحت بمشاريعها الهدامة هذه نكاية بالسماء والناس، وهي
تأسف للمصائب الطارئة التي لم تستطع تحاشيها ، حتى
يئست من النجاح وماتت قهراء

سمبلين : هل تدرين بكل هذا يا مرافقاتها ؟

احدى الوصيفات : أجل يا مولاي ، فلا يقلق لك بال .

سمبلين : انا لا ألوم عيني التي أبصرت جمالها ، ولا أذني التي سمعت
تزلفها ، ولا قلبي الذي صدّق ما كانت تتظاهر به ، لان
من العيب كان اخذ الحذر منها . مع ذلك يمكنـك ان
تعذريني ، يا ابنتي ، لاني كنت مهووسا في مساندة مـن
أشقاكِ . ارجو ان تعوض لك السماء عما فات .

(يصل تحت الحراسة لوسيوس وياشيمو والعرّاف
وسواهم من الاسرى الرومان ، ويأتي وراءهـم
بستيموس وايموجان وهي لا تزال في زي فتى) .

أوتأتي ، يا لوسيوس ، لتطالبنا بالجزية ، والبريطانيون قد
ألغوها بعد ان ضحوا في هذا السبيل بعدد كبير مـن
الشجعان ؟ ان اهل القتلى قد طالبوا ، لتهدئة الخواطر عن
المفقودين ، بانزال العقوبة القصوى بكم جميعا ايهـا
الاسرى . وأنا وعدتهم بذلك . فتأهبوا للموت .

لوسيوس : فكّر ، يا مولاي، في تقلبات الحرب ، فانكم لم تحرزوا
النصر الا عرضا . فلو رجحت الكفة لصالحنا ، أما كنا
هددنا نظيركم اسرانا بحد السيف ؟ ولكن بما ان الآلهة
شاءت ان تكون أرواحنا فداءكم ، فلا اعتراض لدينا .
يكفي الروماني ان يكون ذا قلب كبير ليعرف كيف يتحمل
الآلام . ان أغسطس لا يزال حيا وهو سيتدبر الامر .
هذا كل ما عندي فيما يخصني ، ولا أريد ان ألتمس منك؛
يا صاحب الجلالة ، الا منّة واحدة (يشير الى ايموجان).
ان مرافقي هذا بريطاني الاصل ، فأرجوك ان تعفو عنه .
لم أرَ في حياتي خادما أوفى وألطف وأنشط وآمن وأذكى
منه . فلتشفع صفاته به لتلبية التماسي هذا، وأنا أسمح
لنفسي بالقول ، يا صاحب الجلالة ، ان كرمك يأبى رفض
رجائي . لأن هذا الفتى لم يؤذ أي بريطاني مع انه كان
يخدم احد الرومان . أكرر التماسي لانقاذ حياته يا مولاي.
بدون ان توفر حياة الآخرين .

سمبلين : انا واثق بأني رأيته قبلا . فملامحه ليست غريبة عني . لقد
كسبت عطفي من اول نظرة ايها الفتى ، فأنا أضمك الى
حاشيتي . ولست ادري لماذا ولأية غاية أريد لك البقاء .
يا ولدي . لا لزوم لشكري بصفتي سيـــدك الجديد .
فعش واطلب مني ، انا ملكك سمبلين ، ما تشاء من النعم،
بشرط ان اكون قادرا على منحك اياها ، وأن تكـــون

لصالحك ، ولن أتردد لحظة في تلبيتها ، أجل حتى ان كان طلبك العفو عن اعظم الاسرى .

ايموجان : بكل تواضع ، اشكر جلالتك .

لوسيوس (لايموجان) : انا لا ألتمس منك ان تتوسل لانقاذ حياتي يا ولدي العزيز ، لاني واثق بأنك ستفعل ذلك من تلقاء نفسك .

ايموجان (وعيناها تحدقان بياشيمو) : لا ، لا . وا أسفاه ! لدي غير هذا المطلب . فأنا ارى ما هو أصعب من الموت ، لان حياتك وحدها ، يا سيدي الكريم ، تستحق الخلاص من هذه الورطة .

لوسيوس : هذا الشاب المتهور يقصد ان يهجرني ويبعدني عنه الى الابد ، مع العلم ان النعم الممنوحة بناء على رغبات الفتيان والفتيات قل ان تدوم . فلماذا هو قلق على مصيري الى هذا الحد ؟

سمبلين : ماذا تريد ان أهبك ايها الفتى ؟ ان حبي لك آخذ في الازدياد . فأرجوك ان تفكر اكثر فأكثر في ما يجمل بك ان تنال . هل تعرف من تطيل النظر اليه ؟ تكلم . هل تريده ان يحيا ؟ هل هو نسيبك او صديقك ؟

ايموجان : انه روماني ، وليس قريبي . ثم ، ما دمت انتسب الى جلالتك بصفتي احد رعاياك فأنا أخصك .

سمبلين : لماذا تعتبره هكذا ؟

ايموجان : مولاي ، سأشرح لك الامر على حدة ، اذا تنازلت الى سماعي .

سمبلين : أجل ، من كل قلبي ؛ وسأعيرك كل انتباهي واهتمامي . ما اسمك ؟

ايموجان : اسمي امين ، يا مولاي .

سمبلين : انت ، يا ولدي العزيز ، احد مرافقيّ ، ويسرني ان اكون سيدك ، وأن اصغي اليك . تعال معي وكلمني بحرية .

(سمبلين وايموجان ينتحيان جانبا ويتحدثان بصوت خافت) .

بيلاريوس : هل قام هذا الفتى من بين الاموات ؟

ارفيراكوس : انه يشبه كل الشبه فتى آخر لطيفا انيسا عرفناه منذ عهد قريب . اسمه امين . (لغيداريوس) ما رأيك فيه ؟

غيداريوس : ها هوذا الميت قد عاد الى الحياة .

بيلاريوس : اصمتوا ، اصمتوا ، لنرَ البقية . هو لا يتطلع الينا. انظروا ما اكبر الشبه بين المخلوقات ! فلو كان هو حقيقة ، انا واثق بأنه كان كلمنا .

غيداريوس : انه هو الذي رأيناه يموت .

بيلاريوس : اسكتوا كي نرى التالي .

بيزانيو (على حدة) : هذه هي سيدتي . وبما انها لا تزال على قيد الحياة؛ فليكن ما تشاؤه الاقدار . (يعود سمبلين ومعه ايموجان).

سمبلين : تعال ، قف الى جانبي ، وافصح لي عن طلبك بصوت عالٍ .

(لياشيمو) : تقدم ، يا سيدي ، وأجب على سؤال هـذا الفتى بكل صراحة • وإلا ، أقسم بتاجي وصولجاني اللذين يرمزان الى سلطتي ، بأن عقاب كذبك سيكون عذابا أليما •

(لايموجان) : هيا كلّمه •

ايموجان (تشير الى خاتم في اصبع ياشيمو) : ان ما اطلبه بإلحاح هو ان يقول لي هذا الوجيه كيف وصل اليه هذا الخاتم ؟

بستيموس (على حدة) : ماذا يهمه هذا الامر ؟

سمبلين : قل لي كيف حصلت على هذا الخاتم المرصّع بالماس ؟

ياشيمو : ستأمر بمعاقبتي اذا لم ابح لك بسرّي • انما تصريحي سيسبب لك العذاب •

سمبلين : لماذا ؟

ياشيمو : يؤسفني ان أضطر الى اعلان ما آلمني كتمانه • لان حصولي على هذا الخاتم كان عن طريق الخيانة • فان المجوهرة كانت تخص بستيموس الذي نفيته ، بستيموس الشهم النبيل الذي ، ولا بد هنا من الاقرار بالواقع ، لم يوجد له مثيل على وجه الارض • فهل تريد ان تعرف المزيد يا مولاي ؟

سمبلين : نعم كل الحقيقة في هذا الموضوع •

ياشيمو : ان ابنتك التي يتجسم فيها الكمال ، والتي يدمي ذكرها قلبي وترتجف له يدي الجانية ••• أعذرني • ان قواي تخور • (يتمايد) •

سمبلين : ماذا تقول عن ابنتي ؟ استجمع قواك . سأدعك تعيش بقدر ما تهبك الطبيعة من العمر ، ولن تموت قبل ان تعلمني بكل ما جرى . حاول ، ايها الرجل ، ان تتكلم .

ياشيمو : منذ مدة ، ملعونة هي الساعة التي تم فيها ذلك ، كنت في روما . سحقاً لذلك البيت حيث كنا على المائدة ، وكنا نخشى ان تكون مآكلنا مسمومة ، على الاقل ما كنت اتناوله انا منها . وكان بستيموس الكريم ، ماذا اقول ؟ كان صالحا وسط مجتمع فاسد ، وهو من نخبة اهل الخير، كان بستيموس جالسا بوقار فيما بيننا ، ونحن نتبجّح بسرد مغامراتنا في أحضان غواني ايطاليا . واذا صدقنا انفسنا كان جمالهن عقيما بالنسبة الى مديح أفصح الواصفين ، بقوله ان ملامحهن تطغى على جمال فينوس وقامة مينرفا الهيفاء ، هذه النماذج التي تفوق مواهب الطبيعة الهزيلة كأن في شخصهن تجتمع كل الصفات التي تحبب المرأة الى الرجل دون نسيان اغرائهن الذي لا يقاوَم ، وبريق لحظهن الذي يبهر الانظار ويسلب الالباب .

سمبلين : لقد عيل صبري . هيا ادخل في صلب الموضوع .

ياشيمو : سأصل اليه قبل الأوان ، الا اذا شئت ان تستعجل في ايلام نفسك . ان لبستيموس ، كما يليق بكل نبيل مثله ، حبيبة من الاميرات . وإذ أزعجته التلميحات ، وبدون ان يقلل

من قيمة من أثنينا على جمالهن ، رسم لنا بهدوء وصراحة
صورة حسنائه ، وبالنظر الى اقواله اللبقة ، بدا مديحنا
كأنه لغو ، وصفنا به بنات الهوى ، فكسفتنا اشادته
وجعلتنا كالحمقى القاصرين عن الحديث الطلي •

سمبلين : هيا ، أورد النقاط الهامة •

ياشيمو : أما ابنتك العفيفة ،وذكرها من صلب الموضوع ، فتكلم عنها بستيموس كأنها رمز الطهارة والفضيلة اذا قارناها بدياننا المستهترة • على الاثر ، انا الاحمق ، اعترضت على الثناء مشككا وراهنا على مبلغ من النقود الذهبية مقابل هذا الخاتم الذي كان في اصبعه الشريف ، بأني سآخذ مكانه في سريره الزوجي بدون مقاومة ، وأني سأربح خاتمه لقاء خيانة قرينته باستسلامها الي • واذا به كفارس شهم باسل ، لشدة ايمانه بحصانتها حسب اختباره الطويل ، لم يتردد في قبول التحدي • فخسر خاتمه ،لاني سارعت الى بريطانيا لتحقيق خطتي • قد تتذكر ، يا مولاي ، انك شاهدتني في بلاطك منذ مدة • اذ ذاك لمست في ابنتك الوفية ، الفرق الشاسع بين الحب الطاهر والدعارة • وهكذا تحطم املي لا شوقي ، واصطدم دماغي الايطالي الماجن بتحفظكم البريطاني • فرحت احوك المؤامرة الدنيئة التي اوصلتني الى مرامي • بالاختصار ، نجحت في باوغ وطري ، اذ سرعان ما عدت الى روما بدلائل دامغة

افقدت النبيل بستيموس صوابه • فهدمت ثقته بشهادات مختلفة ، منها وصف ستائر ولوحات حجرة نومها ولاسيما اسوارها • وقد استقيت معلوماتي بطريقة جهنمية • اخيرا كشفت له عن بعض اسرار تمت" الى شخصها . حملته على تصديق ادعائي بأني انتزعت منها كرامة أمانتها الزوجية ، وجعلتني أربح رهاني الذي قبِل ان أتحداه به • وعلى هذا الاساس يخيل الي" اني لا ازال اراه منهار الآمال والاحلام •

بستيموس (يتقدم) : أجل ، كما ترى ايها الشيطان الايطالي ، سيكون حسابك معي عسيرا لاني صدقتك ، ايها المنافق الخبيث . ايها اللص المحتال والمجرم السافل • أجل سيكون حسابك عسيرا على كل قبائحك الماضية والحاضرة والمستقبلة • اعطوني حبلا وسكينا وسمًا ، وهاتوا بعض القضاة الصارمين • وأنت ايها الملك العادل ، ارسل في طلب الجلادين القساة الماهرين، لأصلح كل فاسد في هذه الدنيا وأقوِّم كل معوج" ، لانني اقوى منها جميعا ، انا بستيموس الذي يعزى الي" قتل ابنتك • كلا ، هذا ليس صحيحا • تباً لي من شقي ، لاني كلفت مجرما أقل رفقا مني بأن يقتلها هي التي كانت مثال الطهارة والامانة • ماذا اقول ؟ بل كانت العفة بعينها • ابصقوا علي" : ارجموني بالحجارة ، مرِّغوني في الاوحال ، وحرِّضوا كلاب الحي

عليّ ، وليدعى كل مجرم بستيموس ، فتكون جريرته دائما
أخف من جرمي • آه ! يا ايموجان ، يا ملاكي ، يا حياتي،
يا زوجتي الغالية ايموجان ، ايموجان ، ايموجان •

ايموجان (تندفع اليه) : هدىء روعك ، يا سيدي • اسمع ، اسمع •

بستيموس : هل أدع حيلة كهذه تنطلي عليّ؟ مكانك ايها الخادم الوقح•
(يضربها ؛ فتسقط مغميا عليها) •

بيزانيو (يسرع نحو ايموجان) : النجدة ، يا سادتي ، اسعفوا سيدتي
وسيدتكم ايضا • آه ! يا مولاي بستيموس انت لم تقتل
قط ايموجان الا في هذه اللحظة • النجدة ، النجدة • مولاتي
المبجّلة •

سمبلين : هل الدنيا تدور بي ؟

بستيموس : من اين لي هذا الدوار ؟

بيزانيو : عودي الى وعيك ؛ يا سيدتي •

سمبلين : ان كان ما تقع عليه عيناي حقيقة ، فان الآلهة تبغي ان تميتني
فرحا •

بيزانيو : كيف حال مولاتي ؟

ايموجان (تفتح عينيها) : اغرب عن وجهي يا مكّار ، فأنت الذي جرّعتني
السم • ابتعد عني ايها المجرم الخطر • لا تأت ابدا الى هنا
حيث يقيم الامراء الشرفاء •

سمبلين : هذا صوت ايموجان ، ابنتي ايموجان !

بيزانيو : ليت الآلهة رجمتني بصواعقها ، يا سيدتي ، لو لم أعتقد ،

وأنا أناولك هذا الحنجور بكل اخلاص ، بأن محتــواه
دواء نافع ، قد اعطتني اياه الملكة •

سمبلين : ها هوذا سر آخر ينكشف •

ايسوجان : هذا سمَّمني •

كرنيليوس : سامحتني الآلهة ، لقد نسيت امرا باحت به الملكة ، ويبرّىء
ساحة هذا الرجل ، اذ قالت لي : اذا ناول بيزانيو سيدته
السم الذي سلمته اياه كدواء منعش ، يكون قد عالجها
كما اقضي انا على الجرذان •

سمبلين : ما معنى هذا يا كرنيليوس ؟

كرنيليوس : مولاي ، كانت الملكة تستعجلني كي أحضِّر لها سمومـــا
بحجة انها تقوم بتجارب للتخلص من بعض الحيوانـــات
الضارة بقتلها، نظير القطط والكلاب البغيضة • وخشية ان
تكون مشاريعها أخطر مما تصرح به ، ركّبت لها بعــض
مواد ، عند تناولها يتوقف موقتا نشاط الحياة في الجسم،
ولكن جميع وظائف البدن لا تلبث ان تعود بعد قليل من
الوقت الى سيرها الطبيعي • (لايسوجان) هل تناولت من
هذه المادة ، يا سيدتي ؟

ايموجان : أعتقد بأني فعلت • وعلى الاثر غبت عن الوعي •

بيلاريوس : ها هو تفسير غلطتنا •

غيداريوس : بالطبع • وهذا اذاً هو امين بشحمه ولحمه •

ايسوجان (لبستيموس) : لماذا أقصيت عنك زوجتك ؟ ارجوك ان تتصور

نفسك الان واقفا على صخرة عالية ، وأن تتمسك بي بكل
قواك (تضمه بين ذراعيها) •

بستيموس : ابقي هكذا يا عزيزتي ، كالثمرة العالقة بشجرتها حتى تذبل
وتسوت •

سمبلين : ما هذا يا بنيتي الحبيبة ؟ هل تعتبرينني في هذا المشهد
كأني زينة كمالية ، ولا توجهين الي كلمة واحدة ؟

ايموجان : باركني ، يا مولاي •

بيلاريوس (يلفت انتباه ارفيراكوس وغيداريوس اليها) : لقد احببتما هذا
الشاب الوسيم ، ولا ألومكما لان حجتكما واضحة
كالشمس الساطعة •

سمبلين (لايموجان) : لتنهمر دموعي وتنسكب عليك ماء مقدسا • هل
علمت بأن زوجتي قضت نحبها ، يا ايموجان ؟

ايموجان : فقدها آلمني جدا ، يا مولاي •

سمبلين : لكنها كانت مجرمة ، وحقدها سبب كل ما نزل بنا من
مصائب • كذلك اختفى ابنها ، ولا ندري كيف ، ولا اين
هو اليوم •

بيزانيو : يا مولاي ، الان وقد زال عني الخوف ، سأبوح لك
بالحقيقة كاملة • ان السيد كلوتن ، بعد هرب سيدتي ،
جاءني وسيفه مستل ، والزبد يرغي حول فمه ، وأقسم بأن
يقتلني اذا لم أدله على الطريق الذي سلكته • وشاءت
الصدفة ان احمل حينذاك في جيبي رسالة سيدي ،

فحسبت انها تساعد على انقاذ سيدتي ، لكنها جعلت كلوتن
يصمم على اللحاق بالاميرة الى الجبال التي تجاور ملفورد.
واذا بالجنون يستولي عليه وهو في ملابس سيدي ، وقد
اخذها مني عنوة ، وهرول ينوي اغتصاب شرف سيدتي.
ولم أدرِ ما حل به .

غيداريوس : انا أكمل هذه الرواية . لقد قتلته .

سمبلين : رحماك اينها الآلهة . انا لا أريد ان تلفظ شفتاي ، لقاء خدمتك ، حكما جائرا عليك . ارجوك ايها الفتى الباسل ان تسحب كلامك .

غيداريوس : آجل قتلته ، كما قلت .

سمبلين : كان اميرا .

غيداريوس : لكنه امير مزيّف ، والاهانات التي وجّهها اليّ لم تكن ابدا لتصدر عن امير أصيل . فتحداني بلهجة كادت تحملني على ضرب ماء البحر بالسوط لو زمجر مثله . لقد قطعت رأسه ، وأنا الان مرتاح لعدم وجوده بيننا ، كي لا يردد ما قلته عنه .

سمبلين : انا مستاء لما حدث . انك تدين نفسك بتصريحك ، وعليك ان تخضع لشرائعنا . ستموت لا محالة ، اذ لا يجوز ان يبقى القاتل بدون عقاب.

ايموجان : ظننت هذا الجثمان المقطوع الرأس هو جسم زوجي .

سمبلين : قيدوا المجرم بالسلاسل ، وابعدوه عني . (يحيط الحرس

بغيداريوس) •

بيلاريوس : مهلا يا مولاي الملك • هذا الرجل اعظم بما لا يقاس من القتيل • فهو من نسب رفيع مثل حسبك • ولقد أدى لك خدمات أجلّ مما تأتيه مجموعة من أمثال كلوتن في الدفاع عن شخصك وعرشك • (للحرس الذين يزمعون ان يقيدوا غيداريوس) : ارفعوا ايديكم عن معصميه اللذين لم يصنعا ليكبّلا بالقيود •

سمبلين : ما هذا ايها الجندي الشيخ ؟ هل تريد ان تتنصّل مما تستحقه باثارتك غضبي ؟ كيف تقول انه من نسب رفيع كحسبي ؟

ارفيراكوس : لقد ابتعد جدا عن الموضوع •

سمبلين (لغيداريوس) : لن يكون عقابك الا الموت •

بيلاريوس : سنموت نحن الثلاثة لا محالة • لكني سأثبت لك اولا ان اثنين منا أصلهما كما اعلنت لك • يجب عليّ الآن ان ابوح بسر خطير ، سينقلب وبالا عليّ انا ، انما عاقبته سعيدة بالنسبة اليكما •

ارفيراكوس : الخطر الذي يتهددك يتهددنا ايضا •

غيداريوس : كذلك سعادتك هي سعادتنا جميعا •

بيلاريوس : بما اني نلت السماح ، سأتكلم ، يا صاحب الجلالة • كان في خدمتك قديما واحد من رعاياك يدعى بيلاريوس •

سمبلين : أجل ، انه خائن منفي •

بيلاريوس : هو الرجل الذي رسمت الاعوام على جبهته التجاعيد، والذ
يكلمك الان • لقد أبعدتُ بالفعل ، غير اني لست خائ
ولا ادري كيف ألصقت بي هذه التهمة الباطلة •
سمبلين : اقصوه عني • ان العالم برمته لن يقوى على تخفيف جريم
وانقاذه من الموت •
بيلاريوس : لا تغضب هكذا يا مولاي • اولا ، ادفع لي ثمن إطعامـــ
ولديك ، ثم صادر ما اقبضه منك •
سمبلين : اطعامك ولديّ ؟
بيلاريوس (جاثيا على ركبتيه) : ربما تكلمت انا بخشونة وجسارة • ف
انا اجثو امامك بخضوع • لكني ، قبل ان أنهض ، أود ا
أميط اللثام عن حقيقة ابنيّ ، وبعد ذلك لا توفر حيـا
والدهما العجوز • مولاي الكريم ، هذان الفتيان اللذا
يناديانني أباهما ، وهما يعتقدان انهما والداي ، لا ينتسبا
اليّ بتاتا ، لانهما من صلبك ياصاحب الجلالة ، وهمـ
منبثقان من لحمك ودمك •
سمبلين : تقول انهما من لحمي ودمي ؟
بيلاريوس : هذا كبد الحقيقة ، تماما كما انك ابن ابيك • انا العجـو
مورغن لست سوى بيلاريوس الذي نفيته في قديـــ
الزمان • فكانت رغبتك هذه جرمي الوحيد ، وكان ابعادي
عقابي على خيانتي المزعومة ، وكان وفائـي كل ما جنت
يداي من شر وهمي • أما هذان الاميران النبيلان، لانهذا هو

لقبهما وحقهما بالوراثة ، فأنا قد ربيتهما منذ عشريـــن
عاما ٠ وهما يلمّان بجميع الفنون التـــي علمتهما اياها ،
وقيمة تربيتي تقدرها انت بنفسك ، يا صاحب الجلالة ٠
ان مرضعتهما أرفيل التي تزوجتها ، هي التي اختطفتهمـ
اثر نفيي بناء على طلبي ؛ لاني تلقيت سلفا عقاب مـــا
اقدمتُ عليه فيما بعد ٠ وقصاصي على أماتني هو الذي
حدا بي الى ارتكاب هذه الفعلة ، لاني ايقنت بأن الحيف
الجسيم الذي لحق بي لا يوازيه الا حرمانك من ولديك ٠
وها هما ابناك ايها الملك الكريم ٠ وبردهما اليك أفقد انا
صديقين ممتازين لا مثيل لهما في العالم اجمع ٠ لتحلّ
بركات السماء التي تغمرنا الان ، عليهما كقطر الندى لانهما
جديران بأن يضافا كوكبين لامعين الى سماء مملكتك ٠
(يمسح دمعة) ٠

سمبلين : أتبكي وأنت تخاطبني ؟ ان الخدمة التي أديتموها لي انتم الثلاثة هي أرفع بكثير مما تظن ٠ لقد فقدت ابنيّ ، فان كانا هما ذاتهما اللذين اراهما امامي فلا يسعني تمنّي ان أرزق ابنان أنبل منهما ٠

بيلاريوس : تمهّل قليلا ٠ ان هذا الامير الذي ادعوه بوليدور هو ابنك البكر غيداريوس ٠ وهذا الآخر الذي ادعوه كلدوال هو ابنك الاصغر ارفيراكوس الذي كان لا يزال في الاقمطة يا مولاي ملفوفا بوشاح زركشته أيدي والدته الملكـــة

الجليلة ، ولكي اقنعك بصحة كلامي انا مستعد ان اريك هذا الوشاح .

سمبلين : غيداريوس كان في عنقه علامة فارقة هي نجمة غريبة الشكل بلون الدم القاني .

بيلاريوس : ها هي لا تزال الى الان في مكانها كختم طبيعي . لان الاقدار الحكيمة شاءت عندما وسمته بها ان تعرّفه اليوم بواسطتها وترده اليك .

سمبلين : اليوم رزقت ثلاثة اولاد دفعة واحدة . وليس من اب في الكون اسعد مني . لتحلّ بركة السماء عليك يا من ، بعد هذا النفي الغريب الطويل عن ديارك ، تعود الينا لتسترد مكانتك وعرشك . ها قد ضاعت منك مملكتك ، يا ايموجان .

ايموجان : بل هكذا ربحت مملكتين يا مولاي . سقيا لكما يا أخويّ . لقد عدنا والتقينا معا . لا تنكرا بعد اليوم اني احق الناس بتسميتي اختكما . لقد دعوتماني اخاكما وأنا اختكما ، بدون ان اعلم انا ولا تعلما انتما بأني شقيقتكما . بينما الان ادعوكما أخويّ لانكما حقيقة شقيقاي .

سمبلين : هل رأى احدكما الآخر قبل اليوم ؟

ارفيراكوس : نعم يا مولاي الكريم .

غيداريوس : وتحابينا منذ النظرة الاولى . وظللنا على هذا الحال حتى عندما ظننا انها ماتت .

كرنيليوس : حين تجرّعت إكسير الملكة •

سمبلين : ما هذا الاحساس المرهف ! متى أسمع الحكاية بكاملها ؟ اذ هذا الموجز السريع ينطوي على تفاصيل جمة تتطلب سردا دقيقا • (لايموجان) اين وكيف عشتِ مدة غيابك ؟ متى التحقت بخدمة هذا الروماني اسيري ؟ كيف افترقت عن أخويكِ ، وكيف عدت والتقيت بهما ؟ لماذا هربت من البلاط ، والى اين ؟ اجيبيني على هذه الاسئلة بصراحتك المعهودة• (يلتفت نحو بيلاريوس والاميرين) وأنتم الثلاثة، عليكم ان تعلموني بما دعاكم الى خوض المعركة ، وبمجمل ما جرى لكم ، كل حادث في حينه بالتوالي • انما لا الزمان ولا المكان يتسعان الان لمثل هذا الشرح الطويل • انظروا الى بستيموس كيف يتشبث بايموجان ، وكيف تتأمل هي زوجها . وتتأمل أخويها وتتأملني • ان نظراتها تشبه أشعة الامل التي تسطع ببهجة وتنير كل الوجود• هيا بنا نغادر هذا المكان ونذهب الى المعبد لنعطر أرجاءه بما نقدمه من بخور شكرا على هذه المفاجآت السارة (لبيلاريوس) انت اخي وسنظل كلانا ملازمين احدنا الآخر ما حيينا •

ايموجان (لبيلاريوس) : بل انت بمثابة ابي ايضا • اذ بفضل رعايتك ونجدتك وصلت الى هذه السعادة الدائمة •

سمبلين : كلنا غمرتنا الغبطة ما عدا هؤلاء الاسرى • فليفرحوا معنا ،

لاني أريد ان يشاركونا سرورنا •

ايموجان (للوسيوس) : سيدي الكريـــم ، أود ان أسدي اليـــك خدمـة •

اوسيوس : دامت افراحك ، يا مولاتي •

سمبلين : هذا الجندي المفقود الذي حارب بنبل ، كم كان ابتهـج بصحبتنا ، وكم كنت انا ايضا سعدت بابداء عرفان الجميل الذي أدين به له في انتصارنا !

بستيموس : مولاي انا الجدي الذي تود معرفته ، وقد رافقت جلالتك متخفيا بثياب فقير ، لان هذا الهندام كان الانسب لتحقيق المشروع الذي بذلت في سبيله كل الجهد • أجل انـا الجندي المجهول الذي تسأل عنه • أليس كذلك يـا ياشيمو ؟ لقد كنت انت متمددا على الارض وكان بامكاني الاجهاز عليك •

ياشيمو (راكعا) : ها انـاذا بين يديك • وخـز ضميري هـو الذي يحملني الان على الركوع امامـك لا سلطتك • فأستحلفك بأن تتصرف بحياتي التي أدين بها لك مرارا عديدة • لكن ، استرد اولا خاتمك واسوار أوفى اميرة عرفتها طوال عمري •

بستيموس : لا تركع امامي • ان الحكم الذي افرضه عليك هو انقاذك، فانتقامي منك يتحقق بالعفو عنك • عش اذاً وعامل الناس بأحسن مما فعلته انا الان بك •

سمبلين : ما أنبل حكمك ! ان صهري يعلّمني حسن التصرف ، فكلمة السر الان في عرف الجميع هي العفو عند المقدرة .

ارفيراكوس (لبستيموس) : لقد ساعدتنا في الماضي يا مولاي كما لو كنت تعتقد فعلا بأنك في مقام شقيقنا ، ونحن سعداء بأن تكون كذلك حقا .

بستيموس : انا خادمك ، ايها الامير . (للوسيوس) : يا مولاي الروماني أرجوك ان تنادي عرّافك . فأثناء نومي ، خيل الي ان الاله المشتري المعتلي متن نسره كان يظهر لي بصحبة أشباح من أسرتي . وعندما استيقظت وجدت على صدري هذا الوشم الذي حيّرني برمزه الغامض الـــذي لا اجد له معنى . فاطلب منه ان يظهر معرفته بتفسيره لنا .

لوسيوس : يا فيلارمونوس .

العرّاف : ها اناذا ، يا مولاي الكريم .

لوسيوس : إقرأ هذا وفسر لنا معناه .

العراف (يقرأ) : عندما تهبّ على الشبل الذي يجهل ذاته نسمة هواء عليل تضايقه لانه لا يبحث عنها ، وعندما تعود الاغصان المفصولة عن الارز العظيم الى الحياة على جذعها الاصيل وتخضرّ من جديد ، بعد مرور أعوام على جفافها ، حينئذ يــزول شقاء بستيموس وتسترد بريطانيا سعادتها وازدهارها فــي البحبوحة والسلام . (لسمبلين) : ان النسيم العليل هــو ابنتك الفاضلة (يلتفت الى بستيموس) توقعت منذ هنيهة

ان هذه المرأة الامينة على عهدها هي زوجتك ، وكنت أطالع نبوءات الآلهة وبدون ان تعرف ولا ان تشاء ، تعانقك بلهفة وحنو •

سمبلين : كل هذا ممكن جدا •

العرّاف : الارز العظيم ، يا مولاي سمبلين ، يتجسد في شخصك المبجّل ، وأغصانه المفصولة هما ولداك اللذان اختطفهما بيلاريوس وكانا في حكم الميتين منذ سنين طويلة ، وها هما قد عادا الى الحياة في كنفك ، لينضما ثانية الى الارز الجليل الذي يؤمّن ابناؤه لبريطانيا الخصب والوئام •

سمبلين : لنبدأ بالوئام ، يا لوسيوس • اننا وان كنا منتصرين ، نقدم خضوعنا لقيصر وللامبراطورية الرومانية ، واعدين بدفع الجزية المترتبة علينا كالعادة ، لاننا لم نرفضها الا بتحريض ملكة جانية انزلت السماء العادلة بها وبذريتها أعدل العقاب •

العرّاف : لتبارك القوات العلية بأناملها القادرة انسجام هذا السلام ، لان الرؤيا التي أطلعت عليها لوسيوس قبل اول صدام في هذه المعركة ، ما كادت تغيب عن ناظري حتى تحققت بحذافيرها • لقد شاهدت النسر الروماني يتوارى طي أشعة الشمس ، وهذا تفسيره ان الطائر العظيم أي الامبراطور قيصر سيدعم تحالفه والشهم سمبلين الذي

يلمع نجمه هنا في الغرب •

سمبلين : لنشكر الآلهة • وليصعد دخان بخورنا الفواح من هياكلنا المباركة الى مقاماتها العالية ، ولنبشر بهذا الوئام جميع رعايانا ، ولنتقدم بثبات واستمرار ، ولتظل الاعــــلام الرومانية والبريطانية خفاقة ومتحدة في ظل صداقة مخلصة وطيدة على الدوام • وهكذا نجتاز مدينة «لود» ونذهب الى معبد المشتري العظيم ، لضمان سلامنا وتثبيته بمـــا نقيمه من اعياد وأفراح • هيا بدون امهال ، فما انتهت حرب بمثل هذا السلام قبل ان نغسل ايدينا المخضبة بالدماء •

(يخرج الجميع) •

(تمت)